جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

المناسبات بين السور القرآنية عند عبد الكريم الخطيب في تفسيره: دراسة تحليلية نقدية في جزء عمّ

إعداد
سندس عامر أبو سلامة

إشراف
أ. د عودة عبد الله

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين (عام)، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس –فلسطين.

2026

المناسبات بين السور القرآنية عند عبد الكريم الخطيب في تفسيره: دراسة تحليلية نقدية في جزء عمّ

إعداد

سندس عامر أبو سلامة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2026/01/27م، وأجيزت:

أ.د. عودة عبد الله	التوقيع
المشرف الرئيسي	
د. حمزة شواهنة	التوقيع
الممتحن الخارجي	
د. أ.د. محسن الخالدي	التوقيع
الممتحن الداخلي	

الإهداء

إلى قائدي وقدوتي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

إلى معلمتي الأولى أمي الحبيبة، التي عدّتني وإخوتي مشروع حياتها وذخيرة آخرتها، وإلى أبي الغالي سيد الصبر والعطاء والتحمل ... إلى فرحة قلوبكم وتعب أيامكم.

إلى رفيق العلم والعمل وشريك الهمّ والهمّة، الزوج الاستثنائي .. أبا عزّ الدين، وأهله الكرام.

إلى قرة العين وثمرة الفؤاد (عزالديّن) .. اليوم يومي وغداً يومك.

إلى أخلاء الرحلة، مؤنسي الدرب الشاق، من نلمس فيهم المستراح والمستقر.. صَحبي.

إلى صنّاع المجد في السابع من أكتوبر، إلى السادة الشهداء الأبرار، إلى أسرانا الأبطال، إلى أهل غزة العزة من علمونا معاني الحق والثبات والإيمان الصادق الحقيقي في زمن الخسة والنذالة.

إلى مسجدنا المقدَّس، قبلة الصادقين وموعد الفاتحين، إلى طوفان الأقصى الذي شفى الله به صدور قومٍ مؤمنين، وأغاظ به أعداءه الكافرين

إلى القابضين على جمر دينهم في زمن الفتن، إلى المرابطين على ثغور هذه الأمة

إلى الشباب الصاعدين العاكفين على بناء أنفسهم وتنمية عقولهم وتثبيت إيمانهم وتزكية نفوسهم وتوسيع مداركهم وفهم واقعهم وتاريخهم

إلى الذين يحولون ما يجدونه من آلام نابعة من جراحات الأمة ومصائبها إلى مشاريع بنائية للمستقبل

إلى المتمسكين بعقيدتهم ومبادئهم مهما كان.

إلى هؤلاء جميعاً ... أهدي هذه الرسالة.

شكر وتقدير

عظيم الشكر والامتنان والحمد لله تعالى، حمداً كثيراً طيباً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، على عظيم كرمه، وواسع فضله، وكثير نعمه، ومنها أن منّ عليّ وأكرمني بدراسة العلم الشرعي، فله الحمد من قبل ومن بعد.

ثم خالص التقدير والشكر الجزيل إلى كل من أسهم وكان عوناً ومعيناً في إنجاز هذا العمل، وإلى كلية النور وأساتذتها الموقّرين، وإلى أساتذتي في لجنة المناقشة، وأخص منهم مشرفي وأستاذي الفاضل الدكتور عودة عبد الله الذي كان لي خير موجه ومرشد في هذه المسيرة.

كما أتوجه بالشكر والامتنان والعرفان لكل من كان له فضل علينا في غرس بذور العلم والتعلم، من العلماء والمشايخ والدعاة والأهل والأحبة والأصحاب، ولكل من قدم لي الدعم المتواصل خلال فترة إعداد هذه الرسالة

فشكر الله لكم وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل عنوان:

المناسبات بين السور القرآنية عند عبد الكريم الخطيب في تفسيره: دراسة تحليلية نقدية في جزء عمّ

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: **سندس عامر أبو سلامة**

التوقيع: سـنـدس أبــو سلامــة

التاريخ: **2026/01/27م**

فهرس المحتويات

الإهداء ..... ج
شكر وتقدير ..... د
الإقرار ..... هـ
فهرس المحتويات ..... و
الملخص ..... ك
المقدمة 1
الفصل التمهيدي: التعريف بالمفسر وبيان مدى اهتمامه بعلم المناسبات 5
المبحث الأول: التعريف بالمفسر وكتابه 5
المطلب الأول: التعريف بالمفسر 5
المطلب الثاني: التعريف بكتابه 6
المبحث الثاني: علم المناسبات عند عبد الكريم الخطيب 9
المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات وبيان أهميته 9
المطلب الثاني: اهتمام عبد الكريم الخطيب بعلم المناسبات 15
الفصل الأول: نماذج تطبيقية على علم المناسبات من سورة النبأ إلى سورة القدر عند عبد الكريم الخطيب 17
المبحث الأول: سورة النبأ ومناسبتها لما قبلها 17
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 17
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين النبأ والمرسلات 18
المبحث الثاني: سورة النازعات ومناسبتها لما قبلها 21
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 21
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين النازعات والنبأ 21
المبحث الثالث: سورة عبس ومناسبتها لما قبلها 23
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 23
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين عبس والنازعات 23
المبحث الرابع: سورة التكوير ومناسبتها لما قبلها 26
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 26
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين التكوير وعبس 27
المبحث الخامس: سورة الانفطار ومناسبتها لما قبلها 29
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 29
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الانفطار والتكوير 29

المبحث السادس: سورة المطففين ومناسبتها لما قبلها 32
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 32
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين المطففين والانفطار 33
المبحث السابع: سورة الانشقاق ومناسبتها لما قبلها 35
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 35
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الانشقاق والمطففين 35
المبحث الثامن: سورة البروج ومناسبتها لما قبلها 38
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 38
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين البروج والانشقاق 39
المبحث التاسع: سورة الطارق ومناسبتها لما قبلها 41
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 41
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الطارق والبروج 41
المبحث العاشر: سورة الأعلى ومناسبتها لما قبلها 44
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 44
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الأعلى والطارق 45
المبحث الحادي عشر: سورة الغاشية ومناسبتها لما قبلها 47
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 47
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الغاشية والأعلى 47
المبحث الثاني عشر: سورة الفجر ومناسبتها لما قبلها 50
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 50
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الفجر والغاشية 51
المبحث الثالث عشر: سورة البلد ومناسبتها لما قبلها 53
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 53
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين البلد والفجر 53
المبحث الرابع عشر: سورة الشمس ومناسبتها لما قبلها 56
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 56
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الشمس والبلد 57
المبحث الخامس عشر: سورة الليل ومناسبتها لما قبلها 60
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 60
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الليل والشمس 61
المبحث السادس عشر: سورة الضحى ومناسبتها لما قبلها 63
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 63

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الضحى والليل 64
المبحث السابع عشر: سورة الشرح ومناسبتها لما قبلها 67
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 67
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الشرح والضحى 68
الفصل الثاني: نماذج تطبيقية على علم المناسبات من سورة التين إلى سورة الناس عند عبد الكريم الخطيب 71
المبحث الأول: سورة التين ومناسبتها لما قبلها 71
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 71
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين التين والشرح 72
المبحث الثاني: سورة العلق ومناسبتها لما قبلها 75
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 75
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين العلق والتين 76
المبحث الثالث: سورة القدر ومناسبتها لما قبلها 78
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 78
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين القدر والعلق 78
المبحث الرابع: سورة البينة ومناسبتها لما قبلها 81
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 81
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين البينة والقدر 82
المبحث الخامس: سورة الزلزلة ومناسبتها لما قبلها 84
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 84
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الزلزلة والبينة 84
المبحث السادس: سورة العاديات ومناسبتها لما قبلها 87
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام 87
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين العاديات والزلزلة 88
المبحث السابع: سورة القارعة ومناسبتها لما قبلها 90
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 90
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين القارعة والعاديات 90
المبحث الثامن: سورة التكاثر ومناسبتها لما قبلها 93
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 93
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين التكاثر والقارعة 93
المبحث التاسع: سورة العصر ومناسبتها لما قبلها 96
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 96

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين العصر والتكاثر 97
المبحث العاشر: سورة الهمزة ومناسبتها لما قبلها 100
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 100
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الهمزة والعصر 100
المبحث الحادي عشر: سورة الفيل ومناسبتها لما قبلها 103
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 103
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الفيل والهمزة 103
المبحث الثاني عشر: سورة قريش ومناسبتها لما قبلها 106
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 106
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين قريش والفيل 107
المبحث الثالث عشر: سورة الماعون ومناسبتها لما قبلها 109
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 109
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الماعون وقريش 110
المبحث الرابع عشر: سورة الكوثر ومناسبتها لما قبلها 112
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 112
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الكوثر والماعون 113
المبحث الخامس عشر: سورة الكافرون ومناسبتها لما قبلها 116
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 116
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الكافرون والكوثر 116
المبحث السادس عشر: سورة النصر ومناسبتها لما قبلها 119
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 119
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين النصر والكافرون 119
المبحث السابع عشر: سورة المسد ومناسبتها لما قبلها 123
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 123
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين المسد والنصر 123
المبحث الثامن عشر: سورة الإخلاص ومناسبتها لما قبلها 127
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 127
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الإخلاص والمسد 128
المبحث التاسع عشر: سورة الفلق ومناسبتها لما قبلها 131
المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 131
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الفلق والإخلاص 131
المبحث العشرون: سورة الناس ومناسبتها لما قبلها 134

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها 134
المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الناس والفلق 135
الخاتمة 137
قائمة المصادر والمراجع 139
Abstract ..... B

المناسبات بين السور القرآنية عند عبد الكريم الخطيب في تفسيره: دراسة تحليلية نقدية في جزء عمّ

إعداد

سندس عامر أبو سلامة

إشراف

أ. د. عودة عبد الله

الملخص

تبحث هذه الدراسة في موضوع من موضوعات القرآن الكريم؛ وهو المناسبات بين خواتيم السور وفواتح السور التي تليها، مع دراسة تطبيقية على جزء عم من تفسير الشيخ عبد الكريم الخطيب. تتكون هذه الدراسة من فصلين رئيسين وفصل تمهيدي، وقد تناولت في الفصل التمهيدي: التعريف بالمفسر والتعريف بعلم المناسبات، ثم بينت نشأة المفسر الخطيب وسيرته وحياته العلمية، ثم ذكرت أهمية علم المناسبات في فهم مراد الله في كتابه العزيز، وأخيراً تكلمت فيه عن أنواع المناسبات في القرآن الكريم؛ كالمناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها، ومناسبة مضمون السورة ومضمون ما قبلها، ومناسبة مقصد السورة ومقصد ما قبلها، والمناسبة العامة بين السور، وبيان كيفية كون القرآن الكريم وحدة واحدة مترابطة؛ فلا تنفصل الآية عن الآية، ولا السورة عن الأخرى.

أما الفصل الأول: فكان دراسة تطبيقية على القسم الأول من جزء (عمّ)، من سورة النبأ إلى سورة القدر، عند الشيخ عبد الكريم الخطيب في تفسيره "التفسير القرآني للقرآن"، وجاءت التكملة في الفصل الثاني: من سورة البينة إلى سورة الناس.

واتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي في تتبع خواتيم السور وفواتح السور التي تليها، والمنهج الوصفي في عرض خواتيم السور وفواتح السور التي تليها، ثم انطلقت من المنهج التحليلي وأجريت دراسة تطبيقية على جزء عمّ، وأوضحت العلاقة بين السور بالاستناد إلى تفسير الشيخ عبد الكريم الخطيب.

وقد خلصت الدراسة إلى نتائج من أبرزها: عناية الخطيب بعلم المناسبات ويظهر هذا بشكل واضح من خلال ذكره لمناسبة السورة لما قبلها قبل بداية شروعه في تفسير السورة، تفرد الخطيب في بيانه لوجهه المناسبة عند بعض السور القرآنية كسورة العاديات مثلاً ومناسبتها لما قبلها، تميز الخطيب في ذكر بعض المناسبات بسهولة وسلاسة وإيجاز، وعلى النقيض فإنه في ذكر مناسبات أخرى يكون أكثر اختصاراً وأقلَّ إيضاحاً.

الكلمات المفتاحية: التفسير، مناهج المفسرين، المناسبة، عبد الكريم الخطيب.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإن من فضل الله علينا ومن رحمته بنا؛ أن أرسل إلينا أفضل الرسل وخصنا بأفضل الكتب –القرآن الكريم– وأمرنا بتدبره، إذ هو الموعظة، والشفاء، والهدى، والرحمة.

إن أمر الله لنا بتدبر القرآن يتطلب منا معرفة العلوم المتصلة به، كعلم أسباب النزول؛ وعلم الناسخ والمنسوخ؛ وغيرها من علوم القرآن، فالقرآن العظيم لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي معارفه، تتجدد علومه بتجدد الليل والنهار، علومه لا تحصى ولا تستقصى، كلما تدبره المسلم وأنعم فيه النظر فيه زاد شوقاً إليه، وفتح الله عليه من المعارف والعلوم المتصلة به الشيء العظيم، ومن أهم هذه العلوم التي تزداد وضوحاً وتتجلى للأذهان وتظهر للبيان بتدبر القرآن علم المناسبات ووجه الاتصال فيما بين السور والآيات.

وهو من علوم القرآن التي لها شأن عظيم في تدبره ومعرفة مراد الله منه، فهو العلم الذي يهتم بالنظم القرآني ويبرز أوجه الارتباط بين ما تجاور من عباراته وآياته وسوره؛ ويبين الأساليب التي حصل بها هذا التناسق ثم يبرز ما وراء هذا النظم القرآني من أسرار وحكم، إن التالي لآيات القرآن يشعر أن لألفاظه وعباراته وقعاً خاصاً وكياناً مستقلاً في تركيبها ونظمها فلا هي شعر ولا هي نثر وإنما هي قرآن آيات وسور لها خواص قرآنية لا توجد إلا فيها.

إن علم المناسبات يبحث في هذه الخواص التي ميزت كلام الله عن غيره، ويبحث بصورة خاصة عن أسرار التناسق والالتحام بين آيات الكتاب الكريم؛ ويجلي هذه الأسرار؛ فيفهم مراد الله من كلامه، وممن اعتنى بهذا العلم وأولاه اهتماماً وحرصاً هو عبد الكريم الخطيب في تفسيره (التفسير القرآني للقرآن)، فقد اهتم الخطيب بايراد الكثير من المناسبات التي تربط بين السور القرآنية، حتى إذا نظرنا في تفسيره نرى أنه لا

تكاد تخلو كل سورة من سور القرآن الكريم بمناسبة معينة يربطها بسابقتها من السور، ولهذا جعلته موضوع رسالتي وبحثي من خلال التأمل والنظر في مناسبات سور جزء عم في تفسيره.

مشكلة الدراسة

1. ما تأثير علم المناسبات في فهم وتفسير القرآن؟
2. كيف اعتنى الشيخ عبد الكريم الخطيب بعلم المناسبات في تفسيره؟
3. ما العلاقة التي تربط سور جزء عمّ من حيث خواتيمها وفواتحها في تفسيره؟
4. ما المنهج الذي سار عليه الخطيب في بيان المناسبات واستنباطها بين سور جزء عمّ؟

أهمية الدراسة

1. تسليط الضوء على المناسبات عند الشيخ عبد الكريم الخطيب في تفسيره من خلال النظر في مناسبات سور جزء عمّ.
2. مقارنة منهج الشيخ الخطيب في عنايته بعلم المناسبات مع غيره من المفسرين الذين اعتنوا بهذا الجانب.
3. إبراز وجه من وجوه الإعجاز البياني من خلال علم المناسبات، فالبحث في المناسبة يعني البحث في وجه من أهم وجوه الإعجاز، وهو الإعجاز البياني الذي يرجع إلى تناسق آيات القرآن الكريم وسوره.
4. البحث في علم المناسبات يفتح المدارك والأفهام لتدبر كلام الله عز وجل لأن المناسبة لا تتأتى إلا بعد البحث المتأني والنظر الثاقب في كتب التفسير وعلوم القرآن، وغيرها من المصادر التي تهتم بهذا العلم.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. التعرف على علم المناسبات وأهميته في تدبر كلام الله عزوجل.

2. بيان العلاقة بين خواتيم السور مع فواتح السور التي تليها عند الشيخ عبد الكريم الخطيب في تفسيره لجزء عمّ.
3. استنتاج منهج الشيخ عبد الكريم في بيان المناسبات من خلال النظر في خواتيم السور وفواتحها في جزء عمّ.
4. دراسة مناسبات سور جزء عم في تفسير الخطيب دراسة تحليلية نقدية.

منهجية الدراسة

اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي، فتتبعت خواتيم السور وفواتح السور التي تليها واستقرأتها، والمنهج الوصفي في عرض خواتيم السور وفواتح السور التي تليها، ثم انطلقت من المنهج التحليلي وأجريت دراسة تطبيقية على جزء عمّ، وأوضحت العلاقة بين السور بالاستناد إلى تفسير الشيخ عبد الكريم الخطيب (التفسير القرآني للقرآن)، والمؤلفات الخاصة بعلم المناسبات وكتب علوم القرآن وغيرها من المراجع التي يمكن الإفادة منها في هذه المسألة.

الدراسات السابقة

بعد رحلة الإعداد لهذه الدراسة وجدت الباحثة عدداً من الأبحاث والدراسات المتعلقة بهذا العلم الجليل ومنها:

- دراسة للباحث محمد القاسم، قدمت لنيل درجة الدكتوراه عام 1971م، من جامعة الأزهر بعنوان: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره فكانت الدراسة نظرية تحدث فيها عن تاريخ علم المناسبات وترتيب القرآن الكريم وأنواع المناسبات، وتحدث عن الشبهات الواردة على ترتيب القرآن الكريم. أفدتُ من الدراسة في بعض الجوانب، لكن الدراسة لم تتعرض إلى موضوع خواتيم السور مع فواتح السور التي تليها.

- دراسة للباحث يحيى محمد حمد دخل الله، قدمت لنيل درجة الماجستير عام 1991م من الجامعة الأردنية بعنوان: منهج التفسير القرآني للقرآن لصاحبه عبد الكريم الخطيب، تناول فيها أبرز القضايا العقدية والسياسية والاجتماعية والعلمية في تفسيره، بينما تناولت في دراستي موضوع المناسبات فقط عند عبد الكريم الخطيب.
- دراسة للباحث أحمد محمد عطية الميزاوي الجامعة الإسلامية بغزة فلسطين 1431هـ – 2010م، قدمت لنيل رسالة ماجستير بعنوان المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية.
- دراسة للباحثة إنصاف موسى، قدمت لنيل درجة الدكتوراه عام 2010 من جامعة ام درمان الإسلامية في السودان بعنوان: علم المناسبات في تفسير الرازي دراسة تطبيقية ومقارنة ببعض التفاسير في الأجزاء الخمس الأولى، فكان تركيز هذه الدراسة على المناسبات عند الرازي وفي الخمس أجزاء الأولى، بينما تناولت في دراستي المناسبات عند الشيخ عبد الكريم الخطيب.
- دراسة للباحث محمد جبر محمد حسن، نشرت في مجلة كلية أصول الدين بأسيوط عام 2014م، بعنوان: منهج الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره المسمى التفسير القرآني للقرآن الكريم (عرض ونقد)، تناول فيها موقف الخطيب من العقل والمدرسة العقلية في التفسير، وكذلك موقفه من التفسير بالمأثور وموقفه من التفسير بالرأي، وتناولت دراستي منهجه في علم المناسبات من خلال التطبيق على جزء عم.
- دراسة للباحثة أمل الغنيم، من جامعة القاهرة عام 2019 بعنوان: علم المناسبات بين سور القرآن نموذج تطبيقي على جزء عمّ، تناولت فيها المناسبات في جزء عم بشكل عام لكن دراستي اقتصرت على المناسبات في جزء عم عند الشيخ عبد الكريم الخطيب.

الفصل التمهيدي

التعريف بالمفسر وبيان مدى اهتمامه بعلم المناسبات

المبحث الأول: التعريف بالمفسر وكتابه

لعله من المناسب في هذه الدراسة أن نبدأ بتعريف موجز عن الأستاذ عبد الكريم الخطيب، وكذلك تعريف بتفسيره الذي سماه التفسير القرآني للقرآن.

المطلب الأول: التعريف بالمفسر

هو المفسر والباحث والمفكر الإسلامي عبد الكريم محمود يونس أحمد حسن الخطيب، ولد عام 1910م – 1328هـ، في قرية الصوامعة التابعة لمركز طهطا بمديرية جرجا بصعيد مصر[1].

بدأ الخطيب حياته العلمية في كتاتيب القرية، فحفظ القرآن الكريم ثم تخرج في مدرسة المعلمين بسوهاج، وحصل على شهادة الدراسات العليا، اشتغل معلماً في المدارس الابتدائية والثانوية، ثم انتقل إلى وزارة الأوقاف، فعمل سكرتيراً برلمانياً ومديراً لمكتب الوزير، ثم توجّه لتدريس علوم التفسير في كلية الشريعة بمدينة الرياض في المملكة العربية السعودية[2].

تم اعتقال عبد الكريم الخطيب في 9 فبراير سنة 1959م هو ومجموعة من كبار موظفي الوزارة، وأودعوا في السجن الحربي ظلماً دون تهمة، وبقي في السجون ثمانية أشهر، وتمت مساومتهم على أن يدلوا بشهادة زور ضد وزير الأوقاف أحمد حسن الباقوري، فأبوا ذلك، ثم لم يجد المسؤولون بداً من إطلاق سراحهم وفصلهم من وظائفهم بقرار جمهوري[3].

---

[1] انظر: محمد خير، تتمة الأعلام للزركلي، ص:317.

[2] انظر: مرتضى الرضوى، مع رجال الفكر في القاهرة، ص: 335.

[3] انظر: محمد خير، تتمة الأعلام للزركلي، ص:317.

ساهم الخطيب في تقديم الكثير من الأبحاث والدراسات في مختلف المجالات الدينية، التي تدور حول إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومفهوم الألوهية والوحدانية، ومئات المقالات، والعديد من الندوات والأحاديث الإذاعية، فزادت مؤلفاته عن خمسين كتاباً، منها: التفسير القرآني للقرآن، والحدود في الإسلام، والدعوة الوهابية، والخلافة والإمامة، والدين ضرورة حياة، الإسلام في مواجهة الماديين الملحدين، والسياسة المالية في الإسلام، وغيرها. مما جعله من أشهر الكتّاب المسلمين في وقته.

توفي عبد الكريم الخطيب في شهر صفر سنة 1406هـ/ 1985م [1].

المطلب الثاني: التعريف بكتابه

يقع تفسيره (التفسير القرآني للقرآن) في ستة عشر مجلداً، فسّر فيه الخطيب القرآن الكريم كاملاً كما يفهمه من النص القرآني، غير ملتفت إلى أسباب النزول، وما يدور حول النص القرآني من روايات، وقد جاء تفسيره أدبياً، سهل العبارة، مفهوم الكلمة، وخالياً من المصطلحات الغامضة.

بدأ الخطيب بمقدمة أشار فيها إلى الجفوة الغليظة المستحكمة بين المسلمين وبين القرآن الكريم في هذا الزمن، ويذكر السبب وراء صرف الأمة عن قرآنها، ويدعو إلى الفهم الصحيح لكتاب الله، عن طريق إطالة التأمل والتدبر لآياته، والتذوق لأساليبه وروعة بيانه، ويبين كيف السبيل إلى تحقيق هذا الأمر، واتبع أسلوبًا فريدًا، حيث إنه لم يكن يتجاوز النص القرآني لفهمه وتفسيره[2].

يقول الخطيب: "ومن أجل هذا كانت صحبتنا هذه لكتاب الله، على هذا الوجه، الذي لا ننظر فيه إلى غير كتاب الله، وإلى تدبر آياته، بعيدا عن طنين المقولات الكثيرة التي جاءت إلى القرآن من كل صوب، وكادت تخفت صوته، وتغيم على الأضواء السماوية المنبعثة منه! إننا في صحبتنا هذه للقرآن، لا نقيم نظرنا على غير كلماته وآياته، ولا نخط على هذه الصفحات غير ما يسمح لنا به النظر في كلماته وآياته، إننا لا نفسر

[1] انظر: المرجع السابق، ص:318.

[2] انظر: عباس، فضل، التفسير والمفسرون، 3/432-433

القرآن بالمعنى المعروف للتفسير، في هذه الصحبة التي نصحب فيها كتاب الله.. وإنما نحن نرتل آيات الله ترتيلاً.. آية آية، أو آيات آيات.. ثم نقف لحظات نلتقط فيها أنفاسنا المبهورة، لما تطالعنا به الآية أو الآيات، من عجب ودهش وروعة"[1].

وقد نهج الخطيب في تفسيره نهجًا واضحًا، يبين فيه في مقدمة السورة أهي مكية أم مدنية، ويبين عدد آياتها وعدد كلماتها وعدد حروفها، ويبين كذلك أسماءها. وقد التزم هذا المنهج في تفسير جميع سور القرآن الكريم، وقد برز في تفسير الخطيب أسلوب المحافظة على الوحدة الموضوعية للسورة، ففي ختام السورة يأتي على موضوعاتها، تلك الموضوعات التي تتسق بعضها مع بعض، حيث يلتقي بدء السورة مع ختامها، وكان الخطيب يذكر وجه ارتباط السورة بالتي قبلها، ويربط بداية السورة بنهاية السورة التي قبلها، والموضوعات التي تناولتها السورة[2].

"ومما ميز تفسير الخطيب أنه كان صاحب دعوة تخاطب العقل والوجدان معًا، فكان كثيرًا ما يفرض التساؤلات ويجيب عليها، وكل تلك التساؤلات التي كان يثيرها إنما يقصد من ورائها تدعيم رأيه، وإثبات حجة ما ذهب إليه"[3].

"وفي عرض الخطيب لتفسير السورة بمجمل يتكلم فيه عن أبرز موضوعات السورة، وأبرز الأحكام والقضايا التي عرضت لها السورة، كما أنه عند الانتهاء من السورة كان يأتي بملخص لأبرز أحداثها وقضاياها، حتى يربط بين بدئها وختامها. وكان الخطيب يلحق المواقف المتشابهة بعضها ببعض، يدعي لنفسه التفرد في مثل تلك القضايا، ولم يخل تفسيره من التفسير الإشاري، فقد كان يفسر الآيات أحيانًا تفسيرًا إشاريًا بعيدًا كلّ البُعد عن مدلول الألفاظ، فيخرج بها عن مدلولها في أصلها اللغوي".[4]

---

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 11/1

[2] انظر: عباس، التفسير والمفسرون، 433/3.

[3] انظر: المرجع السابق، 434/3.

[4] انظر: المرجع السابق، 435/3.

وكان الخطيب في تفسيره لبعض المواطن يلجأ إلى الأخذ بأقوال وآثار الصحابة رضي الله عنهم، لكنه في الغالب كان يعتمد في تفسيره على تفسير القرآن بالقرآن، ومنهجه هذا ساعده في ترجيح بعض الأقوال على بعضها في الآيات التي اشتملت على الأحكام والقضايا العقدية والفقهية.

المبحث الثاني: علم المناسبات عند عبد الكريم الخطيب

خصصت هذا المبحث من أجل الوقوف على معاني المناسبة، بشكل مختصر ومجمل في بعض الأحيان، وقد أغفل بعض المعاني، لأني رأيتها غير ضرورية، خشية الإطالة والحشو، وكذلك لم أتعرض لقضية الاختلاف بين العلماء، في إثبات المناسبة وعدمه، لأني رأيت أن هذه المسألة ليس مقامها هاهنا، فنحن بصدد دراسة المناسبة في تفسير عالم أثبتها.

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات وبيان أهميته

أولاً: التعريف بعلم المناسبات:

ترجع كلمة المناسبة في جذرها الثلاثي إلى (نَسَبَ)، وبالرجوع إلى المعاجم وكتب اللغة، نجدها تدور حول عدة معاني:

- الاتصال. جاء في مقاييس اللغة: "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء. منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به".[1]
- الاشتراك في القرابة. قال الراغب الأصفهاني: "النَّسَب والنِّسْبَة: اشتراك من جهة أحد الأبوين".[2] وذكر الفارابي في الصحاح: "فلان يناسب فلاناً فهو نسيبُه، أي قريبه". [3]
- المماثلة والمشاكلة. ذكر ابن منظور في معجمه: "وتقول: ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة".[4]

يتبين مما سبق أن المناسبة في اللغة تدور معانيها بين الاتصال والقرابة والاشتراك والمشاكلة والمماثلة والمجانسة، وهي معان تدل في مجموعها على وجود علاقة وقواسم مشتركة بين شيئيين أو أكثر، جعلتهم يتصلون ويرتبطون وينتظمون ويتجانسون فيما بينهم وفق نمط معين.

---

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 423/5.

[2] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص:801.

[3] الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 224/1.

[4] ابن منظور، لسان العرب، 756/1.

أما المناسبة في الاصطلاح، فقد عرفها ابن العربي بقوله: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني".[1]

وعرفها القطّان بأنها: "وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أوبين السورة والسورة".[2]

ويظهر من هذين التعريفين التوافق الواضح بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي.

ثانياً: أنواع المناسبات في القرآن الكريم

يمكن تقسيم المناسبات إلى نوعين رئيسين، هما:

الأول: المناسبات في السورة الواحدة، وتندرج تحته صور:

الصورة الأولى: مناسبة فواتح السور لخواتيمها، فإننا نجد أن السورة تبدأ بأمر ثم تختم به، ومن الأمثلة على ذلك: سورة المؤمنون افتتحت بقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:1-2]، حيث جاء الحديث فيها عن فلاح المؤمنين المتصفين بالصفات النبيلة المذكورة. وختمت السورة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١١٧ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١١٨﴾ [المؤمنون:117-118]. فذكرت عاقبة الكفر وعدم فلاح الكافرين، فالفلاح لمن اتصف بصفات المؤمنين، والهلاك لمن لم يتصف بصفاتهم.[3]

الصورة الثانية: المناسبة بين الآية والتي تليها، مثاله: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:5]. فإنه لما ذكر في أول السورة استحقاق الله تعالى لكل المحامد، وأنه رب العالمين، الرحمن الرحيم، كان واجباً على كل عاقل أن يُقبِل على الله معظِّماً ومنزِّهاً ومعترفاً بالعبودية له ومتذلِّلاً بين يديه،

[1] ابن العربي، سراج المريدين،44/10.

[2] القطّان، مباحث في علوم القرآن، ص:96.

[3] انظر: المرجع السابق، ص:74.

ملتجئاً إليه، طالباً منه العون والمدد، فناسب ذلك أن يستشرف للطلب من ذلك الرب، فيقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾[الفاتحة:6].[1]

الصورة الثالثة: المناسبة بين حكمين في الآيات أو الآية الواحدة، فلا تقف المناسبة عند حد التناسب اللفظي أو المعنوي فحسب، بل تمتد لتشمل التناسب في الأحكام، ومن ذلك ما ورد في آيات الاستئذان في سورة النور حين أعقبها بالأمر بغض البصر؛ فإن الاستئذان جاء من أجل ألا يقع البصر على عورة، ولو صادف أن وقع؛ فإن على المستأذن أن يغض البصر، ثم إن العلاقة بين الحكمين بيّنة واضحة؛ إذ فيهما ذكر ما تكون به العفة وحفظ العورات في المجتمع المسلم. ومن تأمل سورة النور وترتيب موضوعاتها، وجد أن آيات الاستئذان جاءت بعد تقرير حد الزنا والقذف، والوقاية منهما.[2]

الصورة الرابعة: المناسبة بين اسم السورة ومضمونها، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ منها: المناسبة بين مضمون سورة الكهف واسمها؛ فإن السورة قد ذكرت أنواع الفتن التي تمر بالإنسان؛ فجاء فيها ذكر الفتنة في الدين، وفتنة العلم، وفتنة السلطان، وفتنة القوة والكثرة، وذكرت هذه السورة المخرج من كل واحدة من هذه الفتن؛ فهي كاسمها كهف لمن اعتصم بها من الفتن.

وأيضاً على سبيل المثال التناسب بين سورة الفيل واسمها، فإن اسم السورة يشير إلى حادثة الفيل الذي قدم به أبرهة قاصداً هدم الكعبة، فأهلكهم الله.

فهناك تناسب عجيب في القرآن الكريم، وفيه كثير من التآلف والتعانق بين السورة الواحدة وبين السور يأخذ بالألباب.

[1] انظر: المرجع السابق، ص:74.

[2] انظر: المرجع السابق، ص: 75.

الثاني: المناسبات بين السور، وتندرج تحته صور منها:

الصورة الأولى: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها، مثالها: في آخر سورة الإسراء قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾ [الإسراء:111]، وفي أول سورة الكهف بعدها قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف:1][1] وفي هذا يقول الزركشي بأن افتتاح كل سورة من سور القرآن الكريم يأتي في غاية المناسبة لخاتمة السورة التي قبلها، إلا أنه قد يخفى أحياناً ويظهر أحياناً أخرى.[2]

الصورة الثانية: المناسبة بين مضامين السور المتتالية، مثالها: في سورة الضحى ذكر الله عزوجل النعم الحسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي سورة الشرح ذكر النعم المعنوية عليه.

الصورة الثالثة: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي تليها، قال الإمام السيوطي: "إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد، فإن السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى؛ للدلالة على الاتحاد، فآخر آل عمران مناسب لأول البقرة؛ فإنها افتتحت بذكر المتقين، وأنهم المفلحون، وختمت آل عمران بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران:200]. وافتتحت البقرة بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾ [البقرة:4] وختمت آل عمران بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ ١٩٩﴾ [آل عمران:199]، فلله الحمد على ما ألهم".[3]

[1] الخضيري، علم المناسبات في القرآن، موقع الدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري، https://alkhaderi.com/ ، تم النشر 2014م.

[2] انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن،38/1.

[3] السيوطي، تناسق الدرر، ص:68.

الصورة الرابعة: المناسبة بين فاتحة السورة وفاتحة ما قبلها، ومثال ذلك: مناسبة افتتاح سورة الكهف بالتحميد، وسورة الإسراء بالتسبيح، فالتحميد يكون عقب التسبيح، يقال سبحان الله والحمد الله.[1] أيضاً تناسب افتتاح الحواميم مع فاتحة سورة الزمر.

الصورة الخامسة: المناسبات العامة بين السور، وهي المناسبات التي يذكرها العلماء مطلقة في القرآن وهي كثيرة جداً أذكر منها نموذجاً للبيان، "افتُتحت سورتان بقوله: يا أيها الناس، وهما: سورتا النساء، والحج، وذكر في الأولى بدء الخلق والحياة للإنسان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء:1]، وفي سورة الحج ذكر لنهاية هذه الحياة وبداية حياة أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ [الحج:1].[2] ففي سورة النساء تحدثت عن بدء الخلق والحياة، والحج ذكرت بنهاية هذه الحياة.

ثالثاً: أهمية علم المناسبات

يقال إن شرف العلم بشرف المعلوم، ومنزلة العلم بمنزلة ما انتُسب إليه، لذا كان علم المناسبات من أهم الموضوعات والعلوم؛ لارتباطه بكلام الله عز وجل، ثم لما يترتب على هذا العلم والتبحر فيه من أثر كبير، وفوائد عظيمة في تفسير القرآن الكريم، ودقة الفهم، وحُسن التأويل.

وتظهر أهمية علم المناسبة في الأمور التالية:[3]

1. المناسبة في أحيان كثيرة تكون مفتاحاً لمعرفة مقاصد الآيات وحِكم القرآن ودرره، والدليل على ذلك قول الإمام الرازي: "إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط".[4]

[1] انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 378/3.

[2] الخضيري، علم المناسبات في القرآن، موقع الدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري، https://alkhaderi.com/ ، تم النشر 2014م.

[3] انظر: عمر، حسن محمود، مقال أهمية علم المناسبات في القرآن الكريم، موقع الألوكة الشرعية، https://www.alukah.net/ ، تم النشر 2016م.

[4] الرازي، مفاتيح الغيب، (110/10).

2. المناسبات عامل فعَّال في إظهار الإعجاز القرآني وأحد ركائزه، فالتناسب وجه أصيل من وجوه الإعجاز القرآني، ودليل آخر على ربانية هذا الكتاب العظيم، يقول البقاعي: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب".[1]

3. هذا العلم يربي العقل ويعطيه ملكة قوية في حسن التدبر والاستنباط، ففي المناسبة زيادة علم، وحسن فهم وتدبر لكتاب الله عز وجل، وبه يفهم المقصود من الآيات فهماً صحيحاً لا يمكن حصوله دون النظر في المناسبة، يقول صاحب البرهان: "واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول".[2]

4. بهذا العلم يتبيّن سر التكرار في الكلمات والآيات والقصص، بحيث تظهر مناسبة كل كلمة أو آية أو قصة وردت في موضعها، وأن لكل منها هدفاً يختلف عن غيره من المواضع، فيدفع ما يتوهم أنه تكرار في القرآن الكريم.

5. يعدّ هذا العلم أحد أسباب الترجيح بين الآراء المختلفة للمفسرين في تفسير القرآن الكريم، وعامل مهم في فهم مراد الله تعالى في كتابه، وعدم الوقوع في اللبس أو الخطأ أو التأويلات المغالى فيها، وقد عدّه ابن جزي في مقدمة تفسيره أحد وجوه الترجيح بين أقوال المفسرين، فقال: "السادس: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله أو ما بعده".[3]

6. جلاء كيفية ارتباط الكلام، فإن علم المناسبات يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء.[4]

7. الكشف عن مقصد السورة الأساسي، والمحور الذي تدور عليه معاني السورة في القرآن الكريم.

---

[1] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (7/1).

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (35/1).

[3] ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، (19/1).

[4] انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (36/1).

ومن هنا يتبين ما لعلم المناسبات من فوائد تتصل بجلاء معنى النص أو بجماله، أو بتناسقه مع بعضه بعضاً وتآلفه، وتكشف أسراراً من البلاغة المعجزة في القرآن، مما يجعله أصلا هاما في التفسير التحليلي وفي التفسير الموضوعي.

المطلب الثاني: اهتمام عبد الكريم الخطيب بعلم المناسبات

بعد اطلاعي على تفسير الخطيب تبين لي النهج الذي رسمه لنفسه عند تفسيره لآي القرآن الكريم، فهناك خطوط عريضة انطلق منها وهي موجودة في تفسيره، منها: أنه يبدأ باسم السورة، ثم يبين هل هي مكية أم مدنية، ويذكر عدد آياتها وكلماتها وحروفها، وأسماءها، ثم يذكر وجه مناسبتها للسورة التي سبقتها.

فمثلاً عند تفسيره لسورة الأحزاب يقول: "سورة الأحزاب، نزولها: مدنية، عدد آياتها: ثلاث وسبعون آية، عدد كلماتها: ألف ومائتان وثمانون كلمة، عدد حروفها: خمسة آلاف وسبعمائة وستة وستون حرفا".[1] وبعد ذلك يقول: "مناسبتها لما قبلها مع أن هذه السورة مدنية، ومع أن السورة التي قبلها (السجدة) مكية، ومع الفاصل الزمني الممتد بينهما، فقد اتصلت السورتان بعضهما ببعض، والتقى ختام السابقة منهما ببدء التالية، حتى لكأنهما سورة واحدة.. وهذا مما يدل على أن ترتيب السّور في المصحف توقيفي كترتيب الآيات في السور.. وهذا يعني أن الصورة التي نزل عليها القرآن تختلف جمعا وترتيبا –وإن لم تختلف مادة وموضوعا– عن الصورة التي انتظم عليها نظام القرآن، بعد أن تم نزوله، في العرضة الأخيرة التي كانت بين جبريل وبين النبي –صلوات الله وسلامه عليهما– على ما سنرى ذلك عند تفسير السورة".[2]

وهكذا عند تفسيره لكل سورة من سور القرآن، فإنه غالباً يذكر مناسبتها لما قبلها إذا وجدت، أيضاً نرى الخطيب يتطرق لبعض المناسبات الخاصة بين الآيات، فنراه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج:38]، يذكر مناسبة هذه الآية لسابقتها

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 632/11.

[2] المرجع السابق، 632/11.

ويقول: "مناسبة هذه الآية لما قبلها، هي أن الآيات السابقة دعت إلى تعظيم شعائر الله ومناسكه، وإلى ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام، وإلى إطعام القانع والمعترّ منها، وهذا لا يقوم على تعظيمه والوفاء به إلّا أهل الإيمان والتقوى– فناسب هذا أن يذكر ما للمؤمنين المتقين عند الله من فضل وإحسان، وأنهم جند الله، يدافع الله عنهم، وينصرهم".[1]

ومن لطائف المناسبات عند عبد الكريم الخطيب، عرضه للمناسبات المتعلقة بتسلسل القصص القرآني في الآيات، كما في آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء، فعند تفسيره لهذه الآيات يذكر مناسبة ورود قصة سيدنا إبراهيم بعد قصة سيدنا موسى عليهما السلام ويقول: "مناسبة ذكر قصة إبراهيم، بعد قصة موسى، هي أنه في قصة موسى، قد رأى فيها المشركون أسوأ وجه لهم في فرعون، وما ركبه من عناد واستكبار واستبداد.. كما رأوا المصير الذي صار إليه هو ومن اتبعه، وفي قصة إبراهيم يرى المشركون الجانب الآخر من هذا الوجه السيّء الذي يعيشون به في الناس.. فهم إذا كانوا قد رأوا في قوم فرعون عتوّهم واستكبارهم، فإنهم يرون في قوم إبراهيم جهلهم، وصغار عقولهم، وسفاهة أحلامهم، وضآلة قدرهم في الناس.. إذ ينقادون لأحجار صمّاء، ويعقّرون جباههم بين يدي ودمى خرساء".[2]

ومن خلال استقرائي لتفسير الخطيب، وجدت أنه بشكل أساسي يذكر مناسبة السورة لما قبلها في معظم السور القرآنية، ويذكر العديد من المناسبات الواردة بين الآيات إذا عرضت له، ووجدت عنده بعض المناسبات الخاصة بالقصص القرآني الواردة في سور الشعراء والنمل والزخرف وغيرها، ولم يتسع المقام لذكرها جميعها.

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1041/9.

[2] المرجع السابق، 135/10.

الفصل الأول

نماذج تطبيقية على علم المناسبات من سورة النبأ إلى سورة القدر عند عبد الكريم الخطيب

تحدثت في الفصل السابق عن الأستاذ عبد الكريم الخطيب وعنايته بتفسير القرآن وعلم المناسبات في تفسيره، وأيضاً تحدثنا عن المناسبة بين خاتمة السورة وافتتاح السورة التي تليها، وحتى تكتمل الصورة ويتضح المقصود كان لابد من إجراء دراسة تطبيقية على عدد من السور القرآنية المتتالية، والتي تشكل منظومة تشريعية متكاملة، فوقع الاختيار على الجزء الثلاثين؛ ليكون محل هذا الجانب التطبيقي، لنرى كيف اعتنى عبد الكريم الخطيب بعلم المناسبات في تفسيره، والكشف عن المنهج الذي سار عليه في بيان المناسبات، واستنباطها بين سور جزء عمّ.

المبحث الأول: سورة النبأ ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة النبأ هي السورة الثامنة والسبعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم؛ لوقوع كلمة «النبأ» في أولها، نزلت بعد سورة المعارج وقبل سورة النازعات، وهي مكية بالاتفاق، وآياتها أربعون آية، وإحدى وأربعون في المكي والبصري.[1]

أما مقصدها فهو إثبات يوم البعث، يقول الإمام البقاعي: "ومقصدها: الدلالة على أن يوم القيامة الذي كانوا مجمعين على نفيه، وصاروا بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في خلاف فيه مع المؤمنين، ثابت ثباتا، لا يحتمل شكا ولا خلافا بوجه".[2] وقال الإمام ابن عاشور في بيان مقصد السورة: "اشتملت هذه السورة على وصف خوض المشركين في شأن القرآن وما جاء به مما يخالف معتقداتهم، ومن ذلك إثبات البعث، وسؤال

[1] انظر: البقاعي، مصاعد النظر، 150/3. ابن عاشور، التحرير والتنوير،5/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 151/3-152.

بعضهم بعضاً عن الرأي في وقوعه مستهزئين بالإخبار عن وقوعه، وتهديدهم على استهزائهم. وفيها إقامة الحجة على إمكان البعث بخلق المخلوقات التي هي أعظم من خلق الإنسان بعد موته وبالخلق الأول للإنسان وأحواله، ووصف الأهوال الحاصلة عند البعث".[1]

فنرى أن الإمام البقاعي ذكر في مقصد سورة النبأ معنى أجمل فيه الغرض الأساسي من السورة، وهو الدلالة على وجود البعث، وبيان قدرة الله تعالى في خلقه، وعلى هذا سار الإمام ابن عاشور في بيان مقصد السورة، موضحاً أنّ مجيئها كان لإقامة الحجة على البعث، وقد كان شرح مقصد السورة لدى المفسرَين السابقين متقارباً ومكمّلاً لبعضه.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين النبأ والمرسلات

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يعرض الخطيب مناسبة السورة في بداية تفسيره لها، فيقول: "كانت سورة المرسلات قبل هذه السورة حديثا متصلاً عن المشركين، وكانت نهاية هذا الحديث معهم أن ألقى بهم في جهنم، وأخذ كل منهم مكانه فيها.. ثم أعيدوا إلى مكانهم من هذه الحياة الدنيا، حيث يأكلون ويتمتعون، كما تأكل الأنعام، دون أن يكون لهم من تلك الرحلة المشؤومة بهم إلى جهنم، وما رأوا من أهوالها ما يغير شيئا مما في أنفسهم من ضلال وعناد، فما زالوا على موقفهم من آيات الله التي تتلى عليهم، وما زالوا في تكذيب لرسول الله، وفي عجب واستنكار، حتى ليتساءل الوجود كله: إذن فبأي حديث بعد هذا الحديث يؤمن هؤلاء الضالون المكذبون؟ وتجيء سورة النبأ بعد هذا التساؤل الاستنكاري لنمسك بهم وهم في حديث عن هذا الحديث، وفي بلبلة واضطراب من أمره، وفي تنازع واختلاف فيه، لا يجدون –حتى في أودية الزور والبهتان– الكلمة التي يقولونها فيه، والتهمة التي يلصقونها به.. إن أية قولة زور يزينها لهم الشيطان ليلقوا بها في وجه القرآن، لتسقط على رءوسهم، كما يسقط الحصى برمي به في وجه الشمس، ليخفى ضوءها، أو يعطل مسيرتها".[2]

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير،6/30.

[2] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1441/16.

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنةً مع أقوال المفسرين

الذي تبيّن لي أثناء الدراسة أن معظم المفسرين اتفقوا على أن وجه المناسبة بين فاتحة سورة النبأ وخاتمة المرسلات منعقد على تساؤل المشركين عن البعث، وفي كلا السورتين تأنيب وتقريع للمكذبين، وفيهما وصف للجنة والنار، وما ينعم به المتقون، ويعذّب به المكذبون.

وجاء هذا مجملاً في سورة المرسلات، مفصلاً في سورة النبأ، ولما ختم الله تعالى سورة المرسلات بسؤال عظيم متمحور في استحالة إيمانهم بعد تكذيبهم لكلام الله تعالى وذلك بأسلوب الاستفهام، ناسب في مطلع سورة النبأ تساؤل المشركين عن بيان أحوال البعث، وبذلك تنتهي سورة المرسلات بسؤال يدل على وعيد من الله تعالى إلى أن تبدأ سورة النبأ بسؤال المشركين عن البعث.

ولعل أكثر من أوضح هذه المناسبات بين السورتين الإمام البقاعي، قال: لما أخبر في المرسلات تكذيبهم بيوم الفصل، وحكمه عليهم بالويل المضاعف المكرر، افتتح سورة النبأ بأن ما خالفوا فيه وكذبوا الرسول في أمره لا يقبل النزاع، لما ظهر من بيان القرآن لحكمة الرحمن التي لا يختلف فيها اثنان مع الإعجاز في البيان.[1] يليه الألوسي رحمه الله الذي ذكر أن وجه مناسبة سورة النبأ لما قبلها، أن سورة النبأ اشتملت على إثبات القدرة على البعث الذي سبق في سورة المرسلات وتكذيب الكفرة به، وتابع الكلام: إن الله تعالى لما ختم المرسلات بقوله سبحانه ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المرسلات:50] ، وكان المراد بالحديث فيه القرآن افتتح النبأ بتهويل التساؤل عنه، والاستهزاء به.[2]

ثم المراغي فقد أورد في تفسيره لسورة النبأ مناسبتها لما قبلها من وجوه وهي: "اشتمالها على إثبات القدرة على البعث الذي ذكر في السورة السالفة أن الكافرين كذبوا به. أن في هذه وما قبلها تأنيبا وتقريعا للمكذبين، فهناك قال: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات:20] وهنا قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [النبأ:6] أن في

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر، 190/21.

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني، 201/15.

كل منهما وصف الجنة والنار وما ينعم به المتقون، ويعذب به المكذبون. أن في هذه تفصيل ما أجمل في تلك عن يوم الفصل، فهناك قال: ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ [المرسلات:12-14]، وهنا قال: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ١٧﴾ [النبأ:17] إلى آخر السورة".[1]

وذكر الزحيلي كلاماً مشابهاً لما سبق في بيان وجه التناسب بين النبأ والمرسلات، وقال في كتابه التفسير المنير: "تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها وهي المرسلات من وجوه ثلاثة: تشابه السورتين في الكلام عن البعث وإثباته بالدليل، وبيان قدرة الله عليه، وتوبيخ الكفار المكذبين به، ففي المرسلات:﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦﴾ [المرسلات:16]، ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠﴾ [المرسلات:20]، ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ٢٥﴾ [المرسلات:25] وفي هذه قال: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦﴾ [النبأ:6]. اشتراك السورتين في وصف الجنة والنار، ونعيم المتقين وعذاب الكافرين، ووصف يوم القيامة وأهواله. فصّلت هذه السورة ما أجمل في السورة المتقدمة، فقال تعالى في المرسلات: ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾، وقال سبحانه في هذه السورة: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ١٧﴾ [النبأ:17] إلى آخر السورة".[2]

ولو تأملنا قول الخطيب في إيراده للمناسبة بين سورة النبأ وما قبلها، لرأينا أنه ذكر فقط موضوع اشتراكهما في الحديث عن المشركين ومصيرهم، وأنه أسهب بها مع شيء من الضبابية والتطويل، ثم إنه من يريد أن يفهم كلام الخطيب في المناسبة، ويستنبط من تفسيره المعاني يحتاج إلى قدر من البلاغة وعمق النظر، ولو قارنّاه بغيره من المفسرين نجد أن منهم من أورد المناسبة بيسر وإيجاز وبساطة وكفاية.

[1] المراغي، تفسير المراغي، 3/30.

[2] الزحيلي، التفسير المنير، 5/30.

المبحث الثاني: سورة النازعات ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة النازعات هي السورة التاسعة والسبعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، نزلت بعد سورة النبأ وقبل سورة الانفطار، وهي مكية بالاتفاق. وعدد آياتها خمس وأربعون عند الجمهور، وعدها أهل الكوفة ستاً وأربعين آية. سميت بهذا الاسم؛ لافتتاحها بالقَسَم الإلهي بالنازعات وهي الملائكة التي تنزع أرواح بني آدم، إما بيسر وسهولة للمؤمنين، وإما بعسر وشدة للكفار، وتسمى: الساهرة، والطامة.[1]

أما مقصدها فهو بيان أحوال يوم القيامة والاتعاظ بها، يقول ابن عاشور: "اشتملت على إثبات البعث والجزاء، وإبطال إحالة المشركين وقوعه، وتهويل يومه وما يعتري الناس حينئذ من الهول، وإبطال قول المشركين يتعذر الإحياء بعد انعدام الأجساد، وعرض بأن نكرانهم إياه منبعث عن طغيانهم فكان الطغيان صادا لهم عن الإصغاء إلى الإنذار بالجزاء، فأصبحوا آمنين في أنفسهم، غير مترقبين حياة بعد هذه الحياة الدنيا بأن جعل مثل طغيانهم كطغيان فرعون، وإعراضه عن دعوة موسى عليه السلام، وإن لهم في ذلك عبرة، وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم".[2]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين النازعات والنبأ

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب عن سورة النازعات ومناسبتها لما قبلها: "ختمت سورة النبأ بهذا النذير الذي يلقى به في وجه المكذبين باليوم الآخر، وبما يلقاهم منه من بلاء، حتى إنه ليتمنى الكافر يومئذ أن يكون مغيّبا في التراب، غائصا في أعماقه، من هول ما يراه.. وقد جاءت سورة النازعات مفتتحة بهذه الأقسام، على أن هذا اليوم واقع لا شك فيه، ولم يذكر لهذه الأقسام جواب. لأن جوابها قد سبقها، في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا

[1] انظر: البقاعي، مصاعد النظر، 153/3. الزحيلي، التفسير المنير، 30/30.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير،60/30.

قَرِيبًا...﴾ [النبأ:40] الآية، أي أن هذا العذاب القريب الذي أنذرنا كم به واقع، وحقّ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢... ﴾ [النازعات:1-2]".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

تبيّن لي بعد عرض الأقوال أن الله سبحانه وتعالى في سورة النبأ أنذر بالعذاب يوم القيامة، وفي سورة النازعات أقسم على أن البعث حق لا ريب فيه، ووجه المناسبة بينهما أن خاتمة سورة النبأ متعلقة بذكر حال أهل الكفر ونزع أرواحهم بعد أن تمنوا العدم، فناسب هذا الإنذار في سورة النبأ إثبات البعث في سورة النازعات، ففيهما توكيد رباني بتحقق يوم البعث والحساب، وما سوف يستولي على الكفار فيه من خوف وندم.

ونرى أن الخطيب استوفى ذكر هذه المناسبة، ولعله وافق البقاعي في تفصيل وجه المناسبة بين السورتين، قال البقاعي: "لما ذكر سبحانه (يوم يقوم الروح...) ويتمنى الكافر العدم، أقسم أول هذه بنزع الأرواح على الوجه الذي ذكره بأيدي الملائكة عليهم السلام على ما يتأثر عنه من البعث، وساقه على وجه التأكيد بالقسم؛ لأنهم به مكذبون، فقال تعالى: (والنازعات) أي: من الملائكة"[2] ولعلهما انفردا بهذا البيان والإيضاح، في حين أن الإمامين أبا حيّان والسيوطي اكتفيا بذكر قول ابن عباس رضي الله عنهما بأن فاتحة القسم في النازعات حققت وعيد خاتمة النبأ، جاء في البحر المحيط "أنه لما ذكر في آخر ما قبلها –أي في سورة النبأ– الإنذار بالعذاب يوم القيامة، أقسم في هذه –أي في النازعات– على البعث يوم القيامة"[3]، وأورد الإمام السيوطي رحمه الله: أن سورة النازعات أتت عقب سورة عم، وأولها يشبه أن يكون قسما لتحقيق ما في آخر عم.[4]

---

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1428/16.

[2] البقاعي، نظم الدرر، 217/21-218.

[3] انظر: أبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط،394/10.

[4] انظر: السيوطي، تناسق الدرر، ص:153.

المبحث الثالث: سورة عبس ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة عبس هي السورة الثمانون في ترتيب سور المصحف، وهي سورة مكية بلا خلاف وعدد آياتها اثنتان وأربعون آية في العدّ الحجازي والكوفي، وإحدى وأربعون في العدّ البصري، وأربعون في العدّ الشامي والمدني، وتسمّى سورة الصاخة وسورة الأعمى.[1]

أما مقصدها فهو دعوة الإنسان إلى النظر في ابتداء خلقه إلى منتهاه، قال الإمام البقاعي رحمه الله: "والمراد الأعظم من هذه السورة هو تزكية القابل للخشية للتخويف بالقيامة، التي قام الدليل على القدرة عليها بابتداء الخلق من الإنسان، وبكل من الابتداء والإعادة لطعامه، والتعب ممن أعرض مع قيام الدليل، والإشارة إلى أن الاستغناء والترف أمارة الإعراض وعدم القابلية، والتهيؤ للكفر والفجور، وإلى أن المصائب أمارة الطهارة والإقبال، واستكانة القلوب وسمو النفس بشريف الأعمال. واسمها "عبس" هو الدال على ذلك؛ لتأمل آياته، وتدبر فواصله وغاياته".[2]

ومن مقاصدها "تعليم الله رسوله صلى الله عليه وسلم الموازنة بين مراتب المصالح، ووجوب الاستقراء لخفياتها؛ كيلا يفوت الاهتمام بالمهم منها في بادئ الرأي مهما آخر مساويا في الأهمية أو أرجح".[3]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين عبس والنازعات

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب عن سورة عبس ومناسبتها لما قبلها: "كان مما ختمت به سورة النازعات قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥﴾ [النازعات:45] وكان في ذلك ما يشير إلى المقام الذي يأخذه النبي من قومه،

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 241/15. البقاعي، مصاعد النظر، 156/3.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 157/3.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 102/30.

الذين لج بهم الضلال والعناد، وجعلوا همهم المماحكة والمجادلة، ولقاء النبي بالأسئلة التي لا محصل لها ولا ثمرة منها، وجاءت سورة عبس مفتتحة بهذا الموقف، الذي كان بين النبي وبين جماعة من المعاندين الضالّين، الذين طمع النبي في هدايتهم، فصرف إليهم وجهه كله، دون أن يلتفت إلى ذلك الأعمى، الذي آمن بالله، والذي جاءه يطلب مزيدا من النور والهدى".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

بعد استقرائي لأقوال المفسرين ظهر لي أن الرابط بين سورة عبس وما قبلها، هو أن الله تعالى ذكر في آخر سورة النازعات أنه سيذّكر من يخشاه، ثم جاءت سورة عبس لتقرر من الذي ينفعه الإنذار والتذكير.

وقد ظهر لي أن هذه الآيات قد بينت فريقين: فريق يخشى الله تعالى، وفريق يجحد به، وقد نبه الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في خاتمة سورة النازعات أن الإبلاغ والإنذار الحقيقي لمن خشي القيامة وأهوالها، ولمن جاء يسعى إليه يطلب الاستزادة في دين الله كسيدنا عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه، وظهر ذلك في بداية سورة عبس، فناسبت خاتمة سورة النازعات مطلع ما بعدها من بيان حال الفريقين في توجههما نحو القضية الكبرى التي يوزن الناس من خلالها وهي إيمانهم باليوم الآخر.

وأشار الخطيب إلى هذه المناسبة بشكل واضح في تفسيره، ورأيت الألوسي ذكر ذلك مختصرا موجزاً فقال: "ولما ذكر سبحانه فيما قبلها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥﴾ [النازعات: 45] ذكر عز وجل في هذه من ينفعه الإنذار ومن لم ينفعه فقال عز من قائل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى".[2]

ومن أبرز من ذكر المناسبة بينهما باستيفاء وإسهاب الزحيلي في تفسيره فقال: "لهذه السورة تعلق بما قبلها وهي النازعات؛ لأنه تعالى ذكر هناك أن النبي صلى الله عليه وسلم منذر من يخشى الساعة، وهنا ذكر من ينفعه الإنذار، وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجيهم في أمر الإسلام ويدعوهم إليه

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1446/16.
[2] الألوسي، روح المعاني، 241/15.

وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة. كما أن بينهما تشابهاً في موضوع الحديث عن يوم القيامة وأهوالها، وإثبات البعث بمخلوقات الله في الإنسان والكون، فهناك وصفت القيامة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [النازعات:34] وهنا وصفت بقوله سبحانه: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات:33] وهما من أسماء يوم القيامة. وهناك أثبت الله البعث بخلق السماء والأرض والجبال، وهنا أثبته بخلق الإنسان والنبات والطعام".[1]

[1] الزحيلي، التفسير المنير، 56/30.

المبحث الرابع: سورة التكوير ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة التكوير هي السورة الحادية والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، مكية إجماعا، وهي معدودة السابعة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الفاتحة وقبل سورة الأعلى. وعدد آياتها تسع وعشرون، وعند أبي جعفر ثمان وعشرون آية.[1]

أما مقصدها فهو التذكير بمشاهد القيامة تأكيداً لصدق الوحي وتخويفاً للمكذبين به، وقد ذكر الإمام البقاعي رحمه الله أن مقصدها هو "التهديد الشديد بيوم الوعيد، الذي هو محط الرحال؛ لكونه أعظم مقام لظهور الجلال، لمن كذب بأن هذا القرآن تذكرة في صحف مكرمة، بأيدي سفرة. والدلالة على حقيقة كونه كذلك، بأن السفير به أمين في الملأ الأعلى، مكين لمكانته فيما هنالك، والموصل له إلينا منزه عن التهمة، بريء من النقص، لما يعلمونه من حاله قبل النبوة، وما كانوا يشهدون له به من الكمال في صحبته لهم المتطاولة، التي نبههم بالتعليق بها على ما لا يشكون فيه من أمره، ولم يأتهم بعدها إلا بما هو شرف له، وتذكير بما في أنفسهم، وفي الآفاق من الآيات".[2]

وقال ابن عاشور رحمه الله بأن محور السورة: "تحقيق الجزاء صريحا، وعلى إثبات البعث. وابتدئ بوصف الأهوال التي تتقدمه، وانتقل إلى وصف أهوال تقع عقبه. وعلى التنويه بشأن القرآن الذي كذبوا به لأنه أوعدهم بالبعث زيادة لتحقيق وقوع البحث إذا رموا النبيء صلى الله عليه وسلم بالجنون والقرآن بأنه يأتيه به شيطان".[3]

---

[1] انظر: البقاعي، مصاعد النظر، 160/3. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 139/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 161/3.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 139/30-140.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين التكوير وعبس

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في مناسبة سورة عبس لما قبلها: "جاء في سورة عبس عرض ليوم القيامة، وللعذاب الشديد الذي يحيط بالكافرين، حتى إنّه ليفرّ الكافر من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه.. وقد جاءت سورة التكوير بعدها، تعرض المشاهد التي تسبق هذا اليوم، لتخرج بالمشركين من دائرة العذاب قليلا، ليلقوا نظرة على الحياة الدنيا، التي كانوا فيها، والتي يودون الفرار إليها".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

من الواضح أن سورة التكوير وما ذكر فيها من أهوال يوم القيامة وعلامات يوم الحساب جاء مناسبًا لذكر الصاخة وفرار المرء من أخيه وأمه وأبيه في نهاية سورة عبس، فكانت سورة التكوير متممة لما انتهت إليه سورة عبس، وأورد الإمام ابن الزبير في المعنى ذاته أن وقوع تكوير الشمس، وانكدار النجوم، وما ذكر في السورة من أهوال يوم القيامة، وتسيير الجبال، وتعطيل العشار، كان ذلك متقدماً على فرار المرء من أخيه وأمه وأبيه؛ لاتصال ما ذكر في مطلع سورة التكوير بقيام الساعة فيصح أن تكون دلالة لما سبقها وأمارة عليها.[2]

وذكر النيسابوري التناسب بين عدة، سور فقال رحمه الله: "إنه سبحانه لما ذكر الطامة والصاخة في خاتمتي السورتين المتقدمتين أردفهما بذكر سورتين مشتملتين على أمارات القيامة وعلامات يوم الجزاء".[3]

كما أوضح ذلك الإمام البقاعي رحمه الله، فقال: "لما ختمت سورة عبس بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة؛ لجحودهم بما لهذا القرآن من التذكرة، ابتدئت هذه بإتمام ذلك، فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت حتى كأنه رأى عين".[4] وهو ما وافقه عليه الخطيب، وزاد في إيضاحه.

---

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1466/16.

[2] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 358.

[3] النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 452/6.

[4] البقاعي، نظم الدرر، 275/21.

ومن خلال ما تقدم نرى أن خاتمة سورة عبس تبين حال الناس يوم القيامة، فمنهم من يكون بين النور والسرور، ومنهم من يكون بين الظلمة والسواد، ثم ناسب ختامها مطلع سورة التكوير إذ فيها بيان العدل المطلق لله تعالى لتحقيق ما وعده للمؤمنين من نعيم وسرور، بعد هول يوم عظيم وما وعده للمشركين من جحيم وأسى.

المبحث الخامس: سورة الانفطار ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة الانفطار هي السورة الثانية والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وتسمى سورة انفطرت وسورة المنفطرة وسورة الانفطار في المصحف ومعظم التفاسير، نزلت بعد سورة النازعات وقبل سورة الانشقاق، ولا خلاف في أنها مكية، وآياتها تسع عشرة آية في جميع العدد، ولا اختلاف فيها.[1]

أما مقصدها فهو الإذعان والخضوع للخالق الآمر سبحانه، وقال الإمام البقاعي: "ومقصودها: التحذير من الانهماك في الأعمال السيئة اغتراراً بإحسان الرب وكرمه ونسياناً ليوم الدين، الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير، ولا تغني فيه نفس عن نفس شيئا، واسمها (الانفطار) أدل ما فيها على ذلك".[2]

"واشتملت هذه السورة على: إثبات البعث، وذكر أهوال تتقدمه، وإيقاظ المشركين للنظر في الأمور التي صرفتهم عن الاعتراف بتوحيد الله تعالى وعن النظر في دلائل وقوع البعث والجزاء. والإعلام بأن الأعمال محصاة، وبيان جزاء الأعمال خيرها وشرها، وإنذار الناس بأن لا يحسبوا شيئاً ينجيهم من جزاء الله إياهم على سيئ أعمالهم".[3]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الانفطار والتكوير

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "هذه السورة الكريمة، هي على شاكلة سابقتها التكوير كل منهما حديث عن يوم القيامة وإرهاصاتها، فكان جمعهما في هذا السياق من جمع النظير إلى نظيره؛ ليتأكد ويتقرر في الأذهان".[4]

---

[1] انظر: البقاعي، مصاعد النظر، 164/3. الألوسي، روح المعاني، 267/15. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 169/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 165/3.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 170/30.

[4] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1478/16.

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

عند قراءتي لسورتي التكوير والانفطار وما ذكره المفسرون من مناسبات بينهما، رأيت أنّ المناسبة هنا واضحة جليّة، فكلاهما تتحدثان عن وصف يوم القيامة وما فيه من صور ومشاهد وأهوال، وهذا ما أقرّه الخطيب في تفسيره لمناسبة سورة الانفطار لما قبلها، وتوافق هذا البيان مع ما ذكره الإمام الغرناطي في التناسب إلى تشبيه السورة بسورة التكوير من حيث تمامها وتمام المعنى المتعلق بها، وهو إثبات البعث وذكر أهواله، فقال: "هذه السورة كأنها من تمام سورة التكوير؛ لاتحاد القصد فاتصالها بها واضح، وقد مضى نظير هذا".[1]

وقد فصّل الإمام البقاعي في بيان وجه المناسبة فقال: "ولما ختمت التكوير بأنه سبحانه لا يخرج عن مشيئته وأنه موجد الخلق ومدبرهم، وكان من الناس من يعتقد أن هذا العالم هكذا بهذا الوصف لا آخر له «أرحام تدفع وأرض تبلع ومن مات فات وصار إلى الرفات ولا عود بعد الفوات»، افتتح الله سبحانه هذه بما يكون مقدمة لمقصود التي قبلها من أنه لا بد من نقضه لهذا العالم وإخرابه، ليحاسب الناس، فيجزي كلا منهم من المحسن والمسيء بما عمل".[2]

بيد أنّ صاحب التحرير والتنوير قد بيّن بشكل مفصّل الفرق بين السورتين وخاصة من الناحية اللغوية فذكر أن: "الافتتاح ب (إذا) افتتاح مشوق لما يرد بعدها من متعلقها الذي هو جواب ما في (إذا) من معنى الشرط كما تقدم في أول سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ [التكوير:1]، سوى أن الجمل المتعاطفة المضاف إليها هي هنا أقل من اللاتي في سورة التكوير؛ لأن المقام لم يقتض تطويل الإطناب كما اقتضاه المقام في سورة التكوير وإن كان في كلتيهما مقتض للإطناب لكنه متفاوت؛ لأن سورة التكوير من أول السور نزولاً كما

[1] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 358.
[2] البقاعي، نظم الدرر، 298/21.

علمت آنفا، وأما سورة الانفطار فبينها وبين سورة التكوير أربع وسبعون سورة تكرر في بعضها إثبات البعث والجزاء والإنذار وتقرر عند المخاطبين، فأغنى عن تطويل الإطناب والتهويل".[1]

ولما جاء مدح النبي صلى الله عليه وسلم في ختام سورة التكوير وذكر فضائله في حفظه صلوات ربي وتسليماته عليه لرسالة الله تعالى ناسب ذلك بيان حال النفس يوم القيامة من اتباعها للنبي صلى الله عليه وسلم وما قدمت من خير، وأخرت من حق الله عليها لم تعمل به.[2]

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 170/30.

[2] انظر: الطبري، جامع البيان، 268/24.

المبحث السادس: سورة المطففين ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة المطففين هي السورة الثالثة والثمانون حسب ترتيب السور في المصحف، سميت هذه السورة في كتب السنة وفي بعض التفاسير بسورة ويل للمطففين، وكذلك ترجم لها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه[1]، والترمذي في جامعه[2].

وسميت في كثير من كتب التفسير والمصاحف (سورة المطففين) اختصارا.[3]

قال الألوسي: "واختلف في كونها مكية أو مدنية، فعن ابن مسعود والضحاك أنها مكية، وعن الحسن وعكرمة أنها مدنية"[4]. وقيل: نصفها مكي ونصفها مدني[5]. والصحيح أنها نزلت بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة، قبل دخول المدينة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت بين مكة والمدينة، في مهاجره صلى الله عليه وسلم، فأضيفت إلى المدينة[6].

أما مقصدها فهو بيان العذاب للظالمين، وإيراد الجزاء للمحسنين، ومن مقاصدها "شرح آخر الانفطار، بأنه لا بد من دينونة العباد يوم التناد، بإسكان الأولياء أهل الرشاد دار النعيم، والأشقياء أهل الضلال والعناد دار الجحيم، ودل على ذلك بأنه مربيهم، والمحسن إليهم بعموم النعمة، ولا يتخيل عاقل أن أحداً يربي أحداً من غير سؤال، عما حمله إياه وكفله به، واسمها (التطفيف) أدل ما فيها على ذلك".[7] وأشار سيد قطب رحمه الله إلى أن "هذه السورة تصوّر قطاعاً من الواقع العملي الذي كانت الدعوة تواجهه في مكة إلى جانب ما كانت تستهدفه من إيقاظ القلوب وهز المشاعر، وتوجيهها إلى هذا الحدث الجديد في حياة العرب وفي حياة الإنسانية، وهو الرسالة السماوية للأرض، وما تضمنه من تصور جديد شامل محيط".[8]

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، 1884/4.
[2] الترمذي، سنن الترمذي، 434/5.
[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 187/30.
[4] الألوسي، روح المعاني، 273/15.
[5] البقاعي، مصاعد النظر، 167/3.
[6] المرجع السابق، 167/3.
[7] المرجع السابق، 169/3.
[8] سيد قطب، في ظلال القرآن، ص:3854.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين المطففين والانفطار

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في مناسبة السورة لما قبلها: "أجملت سورة الانفطار التي سبقت المطففين مصير الفجار، ومصير الأبرار، فجاءت سورة المطففين. مفصلة شيئا من هذا المصير، كما جاءت كاشفة مبينة عن وجوه من فجر الفجار، كالتطفيف في الكيل والميزان، والتكذيب بيوم الدين، والاتهام لرسول الله، ولآيات الله".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

اتفق المفسرون على أن وجه التناسب بين السورتين هو مناسبة البخس والتطفيف الذي يعد من كبائر المعاصي مع ما قبله من إيراد الله تعالى ليوم لا تملك فيه النفس شيئًا، ومصير العصاة في هذا اليوم، وهذا ما أشار إليه الخطيب وبيّنه بشكل واضح وسلس، وقد وجّه الإمام الرازي التناسب إلى جهة أخرى، وهي أنّ أمر التطفيف ما هو إلا مثال وتهديد للعصاة في الدنيا، وتحذير من اليوم الذي لا تملك فيه نفس لنفس شيئا، وانفرد بذلك عن باقي المفسرين فقال: "اعلم أن اتصال أول هذه السورة بآخر السورة المتقدمة ظاهر، لأنه تعالى بين في آخر تلك السورة أن يوم القيامة يوم من صفته أنه ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار:19]. وذلك يقتضي تهديداً عظيما للعصاة، فلهذا أتبعه بقوله (ويل للمطففين) والمراد الزجر عن التطفيف، وهو البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية".[2]

وتشابه كلام الخطيب مع الإمام أبي حيان الذي أبرز وجه التناسب من خلال بيان عاقبة العصاة المكذبين في سورة المطففين بعد ذكره تعالى في سورة الانفطار لأهل الإيمان والكفر وعظيم شأن يوم القيامة، فقال في تفسيره رحمه الله: "والمناسبة بين السورتين ظاهرة، فلما ذكر تعالى السعداء والأشقياء ويوم الجزاء وعظم شأن يومه، ذكر ما أعد لبعض العصاة، وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية، وهي التطفيف الذي لا يكاد

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1486/16.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، 82/31.

يجدي شيئا في تثمير المال وتنميته".[1] وكانت المناسبة بين هاتين السورتين تدور حول المعنى نفسه والرابط نفسه عند الإمام البقاعي أيضاً الذي قال: "ولما ختم الانفطار بانقطاع الأسباب وانحسام الأنساب يوم الحساب، وكانت المعصية بالبخس فيها من أخس المعاصي وأدناها، حذر من الخيانة فيها وذكر ما أعد لأهلها وجمع إليهم كل من اتصف بوصفهم، فحمله وصفه على نوع من المعاصي، كل ذلك تنبيها للأشقياء الغافلين على ما هم فيه من السموم الممرضة المهلكة، ونبه على الشفاء لمن أراده".[2]

فناسب بيان اليوم الذي لا يملك فيه أحد التصرف فيه في سورة الانفطار مطلع حال أهل النفاق في سورة المطففين بظنهم حين ظلمهم في الوزن أن الله لن يقدر عليه فذكّرهم باليوم العظيم.

[1] أبو حيان، البحر المحيط، 426/10.

[2] البقاعي، نظم الدرر، 310/21-311.

المبحث السابع: سورة الانشقاق ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة الانشقاق هي السورة الرابعة والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وهي مكية بالاتفاق. نزلت بعد سورة الانفطار وقبل سورة الروم، وعدد آياتها خمساً وعشرين عند أهل العدد بالمدينة ومكة والكوفة، وعند أهل البصرة والشام ثلاثاً وعشرين.[1]

ومقصدها يدور حول تصوير القيامة باستلام الكون وخضوعه لربه في أمره إلزاماً بالاستسلام واستنكاراً بالجحود، وإثبات البعث، وأحوال الطائعين، والمستكبرين. يقول الإمام البقاعي: "ومقصودها: الدلالة على آخر المطففين، من أن الأولياء ينعمون، والأعداء يعذبون، لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث والعرض على الملك الذي أوجدهم ورباهم كما يعرض الملوك عبيدهم، ويحكمون بينهم، فينقسمون إلى أهل ثواب، وأهل عقاب. واسمها "الانشقاق" دال على ذلك".[2]

والمحور الأساسي لهذه السورة، هو الحديث عن الساعة وأشراطها وما يحدث فيها من أهوال، واختلاف مصير الناس يومئذ بين النعيم والشقاء.[3]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الانشقاق والمطففين

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "تعد هذه السورة، وما سبقها، وما يأتي بعدها، حديثا متصلا عن القيامة وأحداثها.. فكل سورة منها معرض من معارض هذا اليوم المشهود، فإذا ذهبنا نلتمس مناسبة لترتيب هذه السور، كان ذلك أشبه بالتماس المناسبة بين ترتيب الآيات في السورة الواحدة.. والمناسبة هنا وهناك قائمة أبدا".[4]

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 217/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 172/3.

[3] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 217/30. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ص: 4974.

[4] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1500/16.

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

ختم الله جل في علاه سورة المطففين ببيان أن الأولياء والمتقين في نعيم وأن الأعداء الكافرين في جحيم، وتكلمت عن عاقبة استهزائهم بالمؤمنين، وقد ذكر بعض المفسرين أن المناسبة لما بعدها واضحة في أنها بيان ووصف لذلك اليوم الذي فيه النعيم والجحيم وعاقبة الكفار والمتقين، وهذا ما أقره وأكد عليه الخطيب حيث ذكر أن هذه السورة وسابقتها حديثاً متصلاً عن القيامة وأحداثها، ولعله تابع بذلك الإمام الغرناطي الذي بين أن سورة الانشقاق جاءت تعريفاً بيوم القيامة، فناسب ذكرها بيان حال السعداء والأشقياء في ذلك اليوم في سورة المطففين، فقال رحمه الله: "لما تقدم في الانفطار التعريف بالحفظة وإحصائهم على العباد في كتبهم، وعاد الكلام إلى ذكر ما يكتب على البر والفاجر، واستقرار ذلك في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾ [المطففين:18] وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧﴾ [المطففين:7] أتبع ذلك بذكر التعريف بأخذ هذه الكتب في القيامة عند العرض، وأن أخذها بالأيمان عنوان السعادة، وأخذها وراء الظهر عنوان الشقاء، إذ قد تقدم في السورتين قبل ذكر الكتب واستقرارها بحسب اختلاف مضموناتها؛ فمنها في عليين ومنها في سجين إلى يوم العرض فيؤتى كل كتابه فآخذ بيمينه وهو عنوان سعادته، وآخذ وراء ظهره وهو عنوان هلاكه، فتحصل الإخبار بهذه الكتب ابتداء واستقراراً وتفريقاً يوم العرض، وافتتحت السورة بذكر انشقاق السماء، ومد الأرض وإلقائها ما فيها وتخليها، تعريفا بهذا اليوم العظيم بما يتذكر به من سبقت سعادته والمناسبة بينة".[1]

وأرجع الإمام البقاعي المناسبة إلى بيان التعريف بهذا اليوم العظيم إلى ما ذكر في السورة السابقة، وقد كان التناسب موضوعيا؛ لأنه لم يتطرق إلى خاتمة سورة المطففين مباشرة وإنما إلى ما قبلها، حيث قال: "لما ختمت التطفيف بأن الأولياء في نعيم، وأن الأعداء في جحيم ثواباً وعقاباً، ابتدأ هذه بالإقسام على ذلك".[2]

[1] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 359-360.

[2] البقاعي، نظم الدرر، 335/21.

وعلى هذا سار الشيخ المراغي، فذكر أن مناسبة سورة الانشقاق لما قبلها هو ذكر مقر كُتب الحفظة في المطففين وذكر عرضها يوم القيامة.[1]

وبين الشيخ سعيد حوى أن وجه المناسبة جلي بين خاتمة وفاتحة السورتين، لأن سورة المطففين تتكلم عن استهزاء المجرمين بالمؤمنين وعاقبتهم، وسورة الانشقاق تتحدث عمن يأخذ كتابه بيمينه ومن يأخذ كتابه بشماله.[2]

فنرى أن جميع ما ذكره المفسرون من أوجه المناسبة بين السورتين يدور في الفلك نفسه والمعنى ذاته، وهذا ما وضحه الخطيب بشكل مختصر مجمل مفيد.

[1] المراغي، تفسير المراغي، 87/30.

[2] انظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير، 6437/11.

المبحث الثامن: سورة البروج ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة البروج هي السورة الخامسة والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وسميت في المصاحف وكتب السنة وكتب التفسير «سورة البروج». وهي مكية بالاتفاق، نزلت بعد سورة (الشمس) وقبل سورة التين، وآياتها اثنتان وعشرون آية.[1]

وأما مقصدها فهو "بيان قوة الله وإحاطته الشاملة، ونصرته لأوليائه والبطش بأعدائه"[2]، وأيضاً السورة فيها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن إيذاء الكفار وكيفية تلك التسلية هي أنه تعالى بين أن سائر الأمم السالفة كانوا كذلك مثل أصحاب الأخدود ومثل فرعون ومثل ثمود، وختم ذلك بأن بين أن كل الكفار كانوا في التكذيب،[3] وتابع الإمام البقاعي بمحور هذا المقصد فذكر أنها "جاءت تسلية لقلوب المؤمنين، وتثبيتا لهم على أذى الكفار، وعلى ذلك دل اسمها "البروج" بتأمل القسم، والمقسم عليه".[4]

وذكر الإمام ابن عاشور أن من أغراضها "ضرب المثل للذين فتنوا المسلمين بمكة بأنهم مثل قوم فتنوا فريقا ممن آمن بالله فجعلوا أخدودا من نار لتعذيبهم ليكون المثل تثبيتا للمسلمين، وتصبيرا لهم على أذى المشركين وتذكيرهم بما جرى على سلفهم في الإيمان من شدة التعذيب الذي لم ينلهم مثله، ولم يصدهم ذلك عن دينهم، وإشعار المسلمين بأن قوة الله عظيمة، فسيلقى المشركون جزاء صنيعهم، ويلقى المسلمون النعيم الأبدي والنصر".[5]

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 236/30.

[2] فايز السريح، معالم السور، ص:465.

[3] الرازي، مفاتيح الغيب، 106/31.

[4] البقاعي، مصاعد النظر، 176/3.

[5] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 236/30-237.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين البروج والانشقاق

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في مناسبتها لما قبلها: "هي معرض من معارض يوم القيامة، فكان سياقها مع ما سبقها، سياق الجزء من كل".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

بعد الاستقراء والمطالعة، وجدت أن المفسرين متفقون على أن وجه المناسبة بين السورتين هي ذكر يوم القيامة، وبيان الحال والمآل للكافر والمؤمن، واقتصر الخطيب على ذكر هذه المناسبة فقط، وقد أشار الإمام النيسابوري رحمه الله إلى مناسبة لطيفة بين السورتين حيث قال: "لما أخبر في خاتمة السورة المتقدمة أن في الأمة مكذبين، سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن سائر الأمم السالفة كانوا كذلك كأصحاب الأخدود وكفرعون وثمود".[2]

بينما فصّل في ذلك الإمام البقاعي ببيانه تسلية القرآن الكريم لقلوب المؤمنين، وتثبيتهم بأن الله سينجز وعده في الآخرين، كما أنجز وعده في الغابرين.[3]

وقال الألوسي: "وجه مناسبتها لما قبلها باشتمالها كالتي قبل على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين، مع التنويه بشأن القرآن وفخامة قدره".[4] فتشابه هو والخطيب على ذكر المناسبة مختصرة.

ونرى الغماري رحمه الله قد ذكر بأنها تناسب سابقتها في ذكر يوم القيامة، وأضاف مناسبة أخرى فقال: "ومناسبتها لما قبلها: 1- اشتمالها كالتي قبلها على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين، مع التنويه بشأن القرآن وفخامته، 2- أنه ذكر في السورة السابقة أنه عليم بما يجمعون للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1511/16.
[2] النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 474/6.
[3] انظر: البقاعي، نظم الدرر، 352/21-353.
[4] الألوسي، روح المعاني، 294/15.

المكر والخداع، وإيذاء من أسلم بأنواع من الأذى كالضرب والقتل والإلقاء في حمارة القيظ. وذكر هنا أن هذه شنشنة من تقدمهم من الأمم، فقد عذبوا المؤمنين بالنار كما فعل أصحاب الأخدود".[1] فجاء في قوله مناسبة إضافية لم يتطرق لها الخطيب، ولا كثير من المفسرين غيره.

[1] المراغي، تفسير المراغي، 97/30.

المبحث التاسع: سورة الطارق ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة الطارق هي السورة السادسة والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وهي مكية بالاتفاق نزلت قبل سنة عشر من البعثة، وسميت في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف (سورة الطارق)، لوقوع هذا اللفظ في أولها، وعدد آياتها سبع عشرة آية وهو المشهور، وفي المدني ست عشرة آية، نزلت بعد سورة البلد وقبل سورة القمر.[1]

مقصدها: "بيان قدرة الله وإحاطته في خلق الإنسان وإعادته"[2]؛ من خلال دعوة الإنسان إلى التفكر بمبتدئه ومنتهاه، ومن مقاصدها ما ذكره الإمام البقاعي بأنها أتت تبيّن مجد القرآن في صدقه في الإخبار بتنعيم أهل الإيمان وتعذيب أهل الكفران، في يوم القيامة.[3]

وذكر الإمام ابن عاشور أن من مقاصد السورة، "إثبات إحصاء الأعمال والجزاء على الأعمال وإثبات إمكان البعث بنقض ما أحاله المشركون ببيان إمكان إعادة الأجسام، وأدمج في ذلك التذكير بدقيق صنع الله وحكمته في خلق الإنسان".[4]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الطارق والبروج

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يوضح الخطيب وجه التناسب بينهما بقوله: "هي نسق متسق مع ما سبقها، في عرض أحداث يوم القيامة، وإرهاصاتها، تقريرا، وتوكيدا لهذا اليوم".[5]

---

[1] انظر: البقاعي، مصاعد النظر، 178/3. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 257/30.

[2] فايز السريح، معالم السور، ص:469.

[3] البقاعي، مصاعد النظر، 178/3-179.

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 257/30-258.

[5] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1520/16.

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

بعد البحث والقراءة وجدت أن كثيرا من المفسرين اتفقوا على أن وجه التناسب بين فاتحة سورة الطارق وخاتمة سورة البروج، هو ذكر يوم البعث ووصف القرآن، وتكذيب الكفار له، ومنهم عبد الكريم الخطيب كما أوردت سابقا ذكره للمناسبة.

وأضاف الإمام الغرناطي جانب الحفظ الإلهي لأنفس العباد وربطها بين السورتين فقال: "لما قال تعالى في سورة البروج، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾ [البروج:9] ، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج:20] ، وكان في ذلك تعريف العباد بأنه سبحانه لا يغيب عنه شيء، ولا يفوته هارب أردف ذلك بتفصيل يزيد إيضاح ذلك التعريف الجملي من شهادته سبحانه على كل شيء وإحاطته به فقال: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ [الطارق:4] ".[1]

وفي إشارة إلى تنبيه القرآن الكريم لأهل الكفر والإلحاد بأن يتأملوا في ذواتهم كيف خلقهم الله تعالى وكيف صورهم وكيف ميزهم بالعقل، أبدع الإمام أبو حيان في بيان وجه التناسب ذلك فقال: "ولما ذكر فيما قبلها تكذيب الكفار للقرآن، نبه هنا على حقارة الإنسان، ثم استطرد منه إلى أن هذا القرآن قول فصل جد، لا هزل فيه ولا باطل يأتيه. ثم أمر نبيه بإمهال هؤلاء الكفرة المكذبين".[2] ولما ذكر الله تعالى الحفظ التام للقرآن المجيد ناسب ذلك بيان القدرة الإلهية في الكون بأنه كما دمر فرعون وغيره من الأمم وأحاط بهم سبحانه قادر على إحاطة كل نفس من خلال جنوده تعالى وهم الملائكة وهذا ما قاله الإمام البقاعي في نظم الدرر: "لما تقدم في آخر البروج أن القرآن في لوح محفوظ لأن منزله محيط بالجنود من المعاندين وبكل شيء، أخبر أن من إحاطته حفظ كل فرد من جميع الخلائق المخالفين والموافقين والمؤالفين، ليجازى على أعماله يوم إحقاق الحقائق وقطع العلائق".[3]

[1] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 360-361.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، 449/10.

[3] البقاعي، نظم الدرر، 371/370/21.

أما الشيخ المراغي رحمه الله فقد بيّن بأن الله تعالى ذكر في البروج تكذيب الكفار للقرآن، وفي الطارق وصف القرآن بأنه القول الفصل وفي ذلك رد على هؤلاء المكذبين.[1] وهو يتفق إلى حد كبير مع ما ذكره الخطيب في وجه المناسبة هذا.

وأيضا بين الشيخ الغماري أن سورة الطارق تناسب سابقتها بذكر يوم البعث ووصف القرآن.[2]

يتبين مما سبق أن كل واحد من المفسرين أورد وجها من أوجه التناسب العديدة بين السورتين شمل إشارة لطيفة ومعنى محتملا من نظرته وزاويته التي نظر بها.

[1] انظر: المراغي، تفسير المراغي، 109/30.

[2] انظر: الغماري، جواهر البيان، 143-144.

المبحث العاشر: سورة الأعلى ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة الأعلى هي السورة السابعة والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وسماها أكثر المفسرين وكتاب المصاحف (سورة الأعلى)؛ لوقوع صفة الأعلى فيها دون غيرها، وعدد آياتها تسع عشرة آية باتفاق أهل العدد، وهي مكية في قول الجمهور، وبعضهم ذكر أن فيها آيتين مدنيتين فتكون السورة بعضها مكي وبعضها مدني، نزلت بعد سورة التكوير وقبل سورة الليل.[1]

ومقصدها: "الترقي بالنفس البشرية للحياة الأخروية، وتخليصها من المتعلقات الدنيوية"[2]، وربط الإمام البقاعي مقصد السورة باسمها، مشيراً إلى أن مقصد الله تعالى في هذه السورة هو تعظيمه وتنزيهه، فقال: "ومقصودها: إيجاب التنزيه للأعلى سبحانه عن أن يلحق ساحة عظمته شيء من شوائب النقص، كاستعجال في أمر؛ من إهلاك الكافرين، أو غيره، أو العجز عن البعث أو إهمال الخلق سدى يبغي بعضهم على بعض بغير حساب. أو أن يتكلم بما لا يطابق الواقع، أو بما يقدر أحد أن يتكلم بمثله، وعلى ذلك دل كل من اسميها: سبح، والأعلى".[3]

وأضاف في هذا المعنى الإمام ابن عاشور، فقال عن سورة الأعلى: "اشتملت هذه السورة على تنزيه الله تعالى والإشارة إلى وحدانيته؛ لانفراده بخلق الإنسان وخلق ما في الأرض مما فيه بقاؤه، وعلى تأييد النبيء صلى الله عليه وسلم وتثبيته على تلقي الوحي، وأن الله معطيه شريعة سمحة، وكتابا يتذكر به أهل النفوس الزكية الذين يخشون ربهم، ويعرض عنهم أهل الشقاوة الذين يؤثرون الحياة الدنيا، ولا يعبئون بالحياة الأبدية".[4]

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/271-272.

[2] فايز السريح، معالم السور، ص:472.

[3] البقاعي، مصاعد النظر، 3/180-181.

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/272.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الأعلى والطارق

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب عن مناسبتها لما قبلها: "ختمت سورة الطارق قبل هذه السورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ [الطارق:15-17]، وفي هذا كما عرفنا تهديد للمشركين، وتطمين لقلب النبي، وحماية له من هذا الكيد الذي يكاد له، فناسب أن تجيء بعد ذلك سورة الأعلى مبتدئة بقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى:1]، ففي هذا الاستفتاح دعوة إلى تمجيد الله وتعظيمه، والتسبيح بحمده، على أن أخذ الظالمين بظلمهم، وأبطل كيدهم".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

مما ظهر لي من خلال استقرائي لأقوال المفسرين أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر كيد الكافرين ومكرهم وإمهاله لهم، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم ألا يستعجل العذاب المحيط بهم، ناسب ذلك أن يأمره بتذكير أمته صلى الله عليه وسلم وتنبيهها إلى تسبيحه سبحانه وتعالى، وتنزيهه وتعظيمه ومعرفة قدره، وهذا ما أورده الخطيب في بيانه للتناسب بين سورة الأعلى وما قبلها، وهو بذلك وافق غيره من المفسرين السابقين، كالإمام الغرناطي مثلاً الذي وجه التناسب إلى تنزيه الله تعالى في سورة الأعلى عن الكيد والاعتداء من الكفار، فقال: "لما قال سبحانه مخبرا عن الكفار أنهم يكيدون كيدا، أتبع سبحانه ذلك بأمر نبيه عليه الصلاة والسلام بتنزيه ربه الأعلى عن شنيع اعتدائهم، وإفك افترائهم فقال: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى:1]، أي: نزهه عن قبيح مقالهم".[2]

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1526/16.

[2] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص:361.

وأضاف الإمام أبو حيان في تناسب هاتين السورتين إضافة مميزة، حيث قال: "ولما ذكر فيما قبلها فلينظر الإنسان مم خلق، كأن قائلا قال: من خلقه على هذا المثال؟ فقيل: سبح اسم ربك. وأيضا لما قال: إنه لقول فصل، قيل: هو سنقرئك، أي: ذلك القول الفصل".[1]

وقد وجه الإمام السيوطي لفظي (الصدع) و(المرعى) إلى التناسب فيما بينهما، ولخص الإمام المراغي ما ذكره الإمام السيوطي بقوله: "مناسبتها لما قبلها– أنه ذكر في تلك خلق الإنسان، وأشار إلى خلق النبات بقوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢﴾ [الطارق:12]، ، وذكر هنا خلق الإنسان في قوله: ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾، وخلق النبات في قوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ٥﴾ [الأعلى:4-5]، ، وقصة النبات هنا أوضح وببسط أكثر، وخلق الإنسان هناك أكثر تفصيلا".[2]

[1] أبو حيان، البحر المحيط، 455/10.

[2] المراغي، تفسير المراغي، 120/30. انظر: السيوطي، تناسق الدرر، ص: 157.

المبحث الحادي عشر: سورة الغاشية ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة الغاشية هي السورة الثامنة والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وهي مكية لا خلاف في ذلك بين أهل التأويل، نزلت بعد سورة الذاريات وقبل سورة الكهف، وآياتها ست وعشرون آية.[1]

وأما مقصدها فهو تنبيه العبد ليوم القيامة، ولفت النظر إلى براهين قدرة رب العالمين. قال الإمام البقاعي: "ومقصودها: شرح ما في آخر سبح، من تنزيه الله تعالى عن العبث، بإثبات الدار الآخرة، وذكر ما فيها للأتقى والأشقى، والدلالة على القدرة عليها، وأدل ما فيها على هذا المقصود: الغاشية، نعوذ بالله من القلب الغاشي، والبصيرة الغاشية؛ لئلا يكون للغاشية علينا بسوء الأعمال ناشئة".[2]

وذكر الإمام ابن عاشور أن هذه السورة اشتملت على "تهويل يوم القيامة وما فيه من عقاب قوم مشوهة حالتهم، ومن ثواب قوم ناعمة حالتهم وعلى وجه الإجمال المرهب أو المرغب، والإيماء إلى ما يبين ذلك الإجمال كله بالإنكار على قوم لم يهتدوا بدلالة مخلوقات من خلق الله وهي نصب أعينهم، على تفرده بالإلهية فيعلم السامعون أن الفريق المهدد هم المشركون، وعلى إمكان إعادته بعض مخلوقاته خلقا جديدا بعد الموت يوم البعث."[3]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الغاشية والأعلى

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "ختمت سورة لأعلى بالحديث عن الآخرة، وعن أنها الحياة الخالدة الباقية، التي تستحق أن يعمل الإنسان لها، ويؤثرها على الدنيا، إيثار الحق على الباطل، والعظيم على الحقير، والباقي على الفاني..

---

[1] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 472/5. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 293/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 186/3-187.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 293/30-294.

ولكن حب الدنيا قد غلب على أكثر الناس، فصرفوا همهم كله إلى الدنيا، ولم يعطوا الحياة الآخرة شيئا من وجودهم، فجاءوا إلى يوم القيامة، مفلسين معدمين، ليس في أيديهم زاد لها، بل كل ما يحملون هو أوزار وآثام، وضلالات.. فكان الحديث عن الغاشية، وهي القيامة، وعن أهوالها، تذكيرا للناس بها، وتنبيها لهم إلى ما يلقى المجرمون فيها من عذاب ونكال".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

رأيت أن معظم المفسرين متفقين على أن سورة الأعلى قد ختمت بذكر الآخرة، وافتتحت سورة الغاشية بذكر أحوالها، وهذا ما ذكره الخطيب في بيانه للمناسبة بين السورتين وفصّل فيها.

وجاء الإمام الغرناطي بإظهار تناسب تنزيه الله تعالى في بداية سورة الأعلى وعلاقة ذلك بسورة الغاشية فقال: "لما تقدم تنزيهه سبحانه عما توهمه الظالمون، واستمرت آي السورة على ما يوضح تنزيه الخالق جل جلاله عن عظيم مقالهم، أتبع ذلك بذكر الغاشية".[2]

وقد بيّن الإمام أبو حيان وجه التناسب من خلال تناسب المفردات، حيث ربط ذكر الآخرة في سورة الأعلى بالغاشية، فقال: "ولما ذكر فيما قبلها (فذكر)، وذكر النار والآخرة، قال: هل أتاك حديث الغاشية. والغاشية: الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يوم القيامة".[3]

وعلى هذا سار الإمام النيسابوري فقال: "لما انجر الكلام في السورة المتقدّمة إلى ذكر الآخرة، شرح في هذه السورة بعض أحوال المكلفين فيها".[4]

أما الوجه الذي أتى به الإمام البقاعي فقد كان فريدا حيث ربط التزكية ببيان حال من لم يزكّ قلبه، حين قال: "لما ختمت «سبح» بالحث على تطهير النفوس عن وضر الدنيا، ورغب في ذلك بخيرية الآخرة تارة

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 16/1536-1537.
[2] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص:362.
[3] أبو حيان، البحر المحيط، 461/10.
[4] النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 489/6.

والاقتداء بأولي العزم من الأنبياء أخرى، رهب أول هذه من الإعراض عن ذلك مرة، ومن التزكي بغير منهاج الرسل أخرى".[1] وبهذا يكون قد أضاف معنى في التناسب لم يضفه السابقون.

وقارب قول الإمام السيوطي الإمام الغرناطي في ربط مفردات السورتين فقال: "لما أشار سبحانه في سورة الأعلى بقوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ... وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝١٧﴾[الأعلى:10-17] "إلى المؤمن والكافر، والنار والجنة إجمالا، فصل ذلك في هذه السورة، فبسط صفة النار والجنة مستندة إلى أهل كل منهما، على نمط ما هنالك؛ ولذا قال [هنا]: ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣﴾ [الغاشية:3] في مقابل: ﴿ٱلۡأَشۡقَى﴾[سورة الأعلى:11] [هناك]، وقال [هنا]: ﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤... لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧﴾[الغاشية:4-7] في مقابلة ﴿يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢﴾ [الأعلى:12] [هناك]، ولما قال [هناك] في الآخرة: ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝١٧﴾[الأعلى:17] بسط [هنا] صفة أكثر من صفة النار؛ تحقيقا لمعنى الخيرية".[2]

ولخص الإمام الألوسي كلام الإمام السيوطي فقال: "ولما أشار سبحانه فيما قبل إلى المؤمن والكافر والجنة والنار إجمالا بسط الكلام هاهنا".[3]

كما جاء الشيخ الغماري بمناسبة موضوعية بين مناسبة سورة الأعلى لأول سورة الغاشية مبينا حال من يؤثر الحياة الدنيا كما جاء في سورة الأعلى في مقابل طلب علو الهمم وتذكيرهم بمآلهم في سورة الغاشية، وهو ملحظ جميل بين تناسب الخاتمة مع الفاتحة فقال: "مناسبتها لما قبلها أن الله تعالى أخبر في السورة السابقة أن الناس يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، فأراد في هذه السورة أن يستنهض هممهم إلى طلب الآخرة، ويحذرهم هول يوم القيامة".[4] فخلاصة هذا أن الله عز وجل لما ذكر غشاوة إيثار حب الدنيا في سورة الأعلى، حذر في السورة التالية من غشاوة يوم الآخرة.

---

[1] البقاعي، نظم الدرر، 2/22.

[2] السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص: 157.

[3] الألوسي، روح المعاني، 324/15.

[4] الغماري، جواهر البيان، ص:145.

المبحث الثاني عشر: سورة الفجر ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة الفجر هي السورة التاسعة والثمانون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، لم يختلف في تسمية هذه السورة بسورة الفجر في المصاحف والتفاسير وكتب السنة، وهي مكية باتفاق سوى ما حكى ابن عطية عن أبي عمرو الداني أنه حكى أنها مدنية، عدد آياتها تسع وعشرون آية في البصري، وثلاثون آية في الكوفي والشامي، واثنتان وثلاثون في المدنيين والمكي، وقد عدت العاشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الليل وقبل سورة الضحى.[1]

أما مقصدها فهو الدعوة إلى النظر والتأمل في عواقب الأقوام السابقة، وقد قال الإمام البقاعي: "ومقصدها: الاستدلال على آخر الغاشية: الإياب، والحساب بالثواب والعقاب، وأدل ما فيها على هذا المقصود: الفجر، بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالأمس من غير فرق في شيء من الذات، وانبعاث الناس من الموت الأصغر: النوم بالانتشار في ضياء النهار، للمجازات في الحساب".[2]

لقد ربط الإمام البقاعي مقصد السورة بما قبلها، وذلك من خلال بيان الإياب والحساب في سورة الغاشية بالثواب والعقاب في سورة الفجر، أما الإمام ابن عاشور فقد ربط مقصد السورة بضرب المثل بما فُعل بعاد وثمود، فذكر أنها "حوت من الأغراض ضرب المثل لمشركي أهل مكة في إعراضهم عن قبول رسالة ربهم بمثل عاد وثمود وقوم فرعون، وإنذارهم بعذاب الآخرة وتثبيت النبيء صلى الله عليه وسلم مع وعده باضمحلال أعدائه، وإبطال غرور المشركين من أهل مكة إذ يحسبون أن ما هم فيه من النعيم علامة على أن الله أكرمهم وأن ما فيه المؤمنون من الخصاصة علامة على أن الله أهانهم، وأنهم أضاعوا شكر الله على النعمة فلما يواسوا ببعضها الضعفاء، وما زادتهم إلا حرصا على التكثر منها، وأنهم يندمون يوم القيامة

[1] انظر: البقاعي، مصاعد النظر، 189/3. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 311/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 190/3.

على أن لم يقدموا لأنفسهم من الأعمال ما ينتفعون به يوم لا ينفع نفسا مالها ولا ينفعها إلا إيمانها وتصديقها بوعد ربها. وذلك ينفع المؤمنين بمصيرهم إلى الجنة".[1]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الفجر والغاشية

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في مناسبة سورة الفجر لما قبلها: "هذه السورة، هي امتداد لعرض آيات من قدرة الله سبحانه وتعالى، وما أخذ به المكذبين بالحياة الآخرة، الذين لم يؤمنوا بالله، ولم يصدقوا بما جاءهم على يد رسل الله من آيات مبصرة".[2]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

تبين لي بعد استقراء أقوال المفسرين أن وجه التناسب بين السورتين يدور حول الاعتبار بحال من سبق من الأمم، وهذا ما ذكره الإمام الخطيب بإيجاز، وهو بذلك وافق من قبله من المفسرين كالإمام الغرناطي مثلا وأبي حيان إلا أنهما ذكرا بيانا تفصيليا للفريقين، فقال الغرناطي: "أبدى سبحانه لمن تقدم ذكره وجها آخر من الاعتبار، وهو أن يتذكروا حال من تقدمهم من الأمم وما أعقب تكذيبهم واجترائهم فقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧...إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾[الفجر:6-14] أي لا يخفى عليه شيء من مرتكبات الخلائق، ولا يغيب عنه ما أكنوه ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ۝١٠﴾ [الرعد:10]".[3]

وقال أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها وجوه يومئذ خاشعة، ووجوه يومئذ ناعمة، أتبعها بذكر الطوائف المتكبرين المكذبين المتجبرين الذين وجوههم خاشعة، وأشار إلى الصنف الآخر الذين وجوههم ناعمة بقوله:

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/311-312.

[2] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 16/1545.

[3] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص:362.

يا أيتها النفس المطمئنة. وأيضا لما قال: (إلا من تولى وكفر)، قال هنا: (إن ربك لبالمرصاد)، تهديدا لمن كفر وتولى".[1]

ولم يضف الإمامان الألوسي والمراغي سوى ما ذكره الإمام أبو حيان في بيان وجه التناسب، فقال الألوسي: "ولما ذكر سبحانه فيما قبلها﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝﴾ [الغاشية:2]، و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾[الغاشية: 8] أتبعه تعالى بذكر الطوائف المكذبين من المتجبرين الذين وجوههم خاشعة، وأشار جل شأنه إلى الصنف الآخر الذين وجوههم ناعمة بقوله سبحانه فيها ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾[الفجر: 27] وأيضا فيها مما يتعلق بأمر الغاشية ما فيها".[2] وقال المراغي: "ومناسبتها لما قبلها: أنه ذكر في تلك الوجوه الخاشعة والوجوه الناعمة، وذكر في هذه طوائف من المكذبين المتجبرين الذين وجوههم خاشعة، وطوائف من الذين وجوههم ناعمة، أن القسم الذي في أول السورة كالدليل على صحة ما تضمنته خاتمة السورة السابقة من الوعد والوعيد".[3]

أما الشيخ الغماري فقد فصل في تناسب بيان أحوال الأمم السابقة مع أهل مكة بذلك فذكر أن مناسبتها لما قبلها حين أمر الله تعالى نبيه في السورة السابقة بتذكير الكفار وأوعدهم بالعذاب، فذكر هنا أنه أهلك كفاراً كانوا أشد من كفار مكة وأقوى منهم، فما أصاب هؤلاء من الهلاك والعذاب، ليس ببعيد من أولئك.[4]

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، 469/10.

[2] الألوسي، روح المعاني، 333/15.

[3] المراغي، تفسير المراغي، 140/30.

[4] انظر: الغماري، جواهر البيان، ص: 146.

المبحث الثالث عشر: سورة البلد ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة البلد هي السورة التسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة في ترجمتها في صحيح البخاري "سورة لا أقسم"،[1] وهي مكية في قول جمهور المفسرين، وقال قوم هي مدنية، عدد آياتها عشرون آية في جميع العدد، ولا خلاف فيها، وقد عدت الخامسة والثلاثين في عدد نزول السور، نزلت بعد سورة ق وقبل سورة الطارق.[2]

ومقصدها: بيان طريق الهداية والنجاة من النار، قال الإمام البقاعي: "ومقصودها: نفي القدرة عن الإنسان، وإثباتها لخالقه الديان، وذلك هو معنى اسمها، فإن من تأمل أمان أهل الحرم، وما هم فيه من الرزق والخير، على قلة الرزق ببلدهم، مع ما فيه غيرهم، ممن هم أكثر منهم وأقوى، من الخوف والجوع، علم ذلك".[3]

وذكر المراغي اشتمال السورة على عدد من المقاصد، فقال: "تشتمل هذه السورة على خمسة مقاصد: ما ابتلى به الإنسان في الدنيا من النصب والتعب، اغترار الإنسان بقوته، نكران النعم التي أنعم الله بها عليه من العينين واللسان والعقل والفكر، سبل النجاة الموصلة إلى السعادة، كفران الآيات سبيل الشقاء".[4]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين البلد والفجر

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "الإنسان الذي ابتلاه الله فأكرمه ونعمه، فلم يحمد الله، ولم يشكر له فضله وإحسانه، والإنسان الذي قدر الله عليه رزقه، فساء ظنه بالله، وغير موقفه منه –هذا الإنسان– في حاليه اللذين عرضتهما سورة «الفجر» –يرى في أوضح صورة في إنسان هذا البلد، وهو مكة، البلد الحرام الذي رفع الله

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، 1888/4.

[2] انظر: البقاعي، مصاعد النظر، 193/3. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 345/30. ابن عطية، المحرر الوجيز، 483/5.

[3] البقاعي، مصاعد النظر، 193/3–194.

[4] المراغي، تفسير المراغي، 164/30.

قدره، وجعله حرما آمنا، يجبى إليه ثمرات كل شيء، وجعله موضعا لأول بيت يعبد فيه على هذه الأرض– هذا الإنسان الذي يعيش في هذا البلد الأمين، كان جديرا به أن يكون أعرف الناس بربه، وأرضاهم لحكمه، ولكنه لم يرع حرمة هذا البلد، فلم يكرم اليتيم، ولم يحض على طعام المسكين، وأكل التراث أكلا لما، وأحب المال حبا جما، أعماه عن طريق الحق، وأضله عن سبيل الرشاد.. فهل هو بعد هذه النذر عائد إلى ربه، داخل في عباده؟ ذلك ما ستكشف عنه الأيام منه، مع دعوة الحق التي يحملها رسول الله إليه.. فالمناسبة بين السورتين قريبة دانية".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

مما تبين لي أن المفسرين اتفقوا على أن المناسبة بين السورتين تدور حول بيان حال الإنسان وجوانب نفسه في الأولى وكيفية التخلص من هذه الجوانب في نفس الإنسان في السورة الثانية كإكرام اليتيم وإطعام المسكين وذم حب المال وأكل التراث، هذا بشكل عام.. أما عند الخطيب فقد خصص هذا الوصف في الإنسان الذي يسكن البلد الحرام وهو مكة المكرمة، فهو أولى وأجدر العارفين بالله ولحرمة بيته هذا، لكنه لم يرعها.

ومن التوجيهات الحسنة أيضاً في القسم المتعلق بأشرف البلاد وأطهرها، ما ذكره البقاعي في التناسب بين البلد وسابقتها، حيث قال: "لما ختم كلمات الفجر بالجنة التي هي أفضل الأماكن التي يسكنها الخلق، افتتح هذه بالأمارة مقسما في أمرها بأعظم البلاد وأشرف أولي الانفس المطمئنة".[2] وقال السيوطي من قبيل المناسبة العامة: "وجه اتصالها بما قبلها: أنه لما ذم فيها من أحب المال، وأكل التراث، ولم يحض على طعام المسكين، ذكر في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال، من فك الرقبة، والإطعام في يوم ذي مسغبة".[3]

ومن الإلهام الموفق ما بيّنه الألوسي في ذكر ما يحصل به الاطمئنان في فاتحة سورة البلد مع ما يناسبه من ذكر النفس المطمئنة في سورة الفجر، فقال: "لما ذم سبحانه فيما قبلها من أحب المال وأكل التراث أكلا

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 16/1564–1565.

[2] البقاعي، نظم الدرر، 22/45–46.

[3] السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص: 158.

لمّا ولم يحض على طعام المسكين ذكر جل وعلا فيها الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة وإطعام في يوم ذي مسغبة وكذا لما ذكر عز وجل النفس المطمئنة هناك ذكر سبحانه هاهنا بعض ما يحصل به الاطمئنان".[1]وقد كرر الألوسي ما ذكره السيوطي من قبله[2].

وفي إشارة لما بيّنه الألوسي في تفسيره حين ذكر (شيء من الاطمئنان)، وضح الباحث الأبرش بيان جميل لهذا وقال: "حين ذكر الله تعالى في سورة الفجر أعلى مراتب النفس وأنقاها وأصفاها وهي النفس المطمئنة إلى قضاء الله وقدره، وبشّرها بدخول أعلى مراتب الجنان، ناسب ذلك ذكره سبحانه وتعالى لأعظم الخلق وأعظم الأنفس البشرية وهي نفس الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، بتعظيم الله تعالى للبلد الذي هو حالٌ ومولود فيه، فانتهت السورة بذكر النفس المطمئنة لتبدأ السورة التي تليها بالتعظيم للبلد الذي حلَّ وأقام فيه صلوات ربي وتسليماته عليه".[3]

[1] الألوسي، روح المعاني، 349/15.

[2] الصفحة السابقة، انظر: السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص: 158.

[3] الأبرش، التناسب بي ن فواتح السور وخواتم ما قبلها (رسالة ماجستير)، ص:78.

المبحث الرابع عشر: سورة الشمس ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة الشمس هي السورة الحادية والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، "وهي مكية بالاتفاق، وعدت السادسة والعشرين في عدد نزول السور نزلت بعد سورة القدر، وقبل سورة البروج، وآياتها خمس عشرة آية في عدد جمهور الأمصار، وعدها أهل مكة ست عشرة آية".[1]

وأما مقصودها فهو تزكية النفس وتطهيرها من الرجس والدنس، قال الإمام الرازي في مقصد السورة: "المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي، واعلم أنه تعالى ينبه عباده دائما بأن يذكر في القسم أنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتأمل المكلف فيها ويشكر عليها؛ لأن الذي يقسم الله تعالى به يحصل له وقع في القلب، فتكون الدواعي إلى تأمله أقوى".[2]

وذكر الإمام البقاعي أن مقصدها: "إثبات التصرف في النفوس التي هي سرج الأبدان، تقودها إلى سعادة أو كبد ونكد وهوان، كما أن الشمس سراج الفلك، يتصرف سبحانه فيها بالاختيار إضلالا وهداية، ونعيما وشقاوة، كتصرفه في الشمس بمثل ذلك، من صحة واعتلال، وانتظام واختلال، وكذا في جميع الأكوان بما له من عظيم الشأن، واسمها "الشمس" واضح الدلالة على ذلك، بتأمل القسم والقسم عليه، بما أعلم به، وأشار إليه".[3]

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 365/30.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، 173/31.

[3] البقاعي، مصاعد النظر، 196/3-197.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الشمس والبلد

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "أشارت سورة البلد إلى الإنسان، وإلى ما أودع الله سبحانه وتعالى فيه من قوى تميز بين الخير والشر، إذ يقول سبحانه: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾ [البلد:10]، وفى سورة الشمس بيان شارح للنجدين، إذ يقول سبحانه: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ ﴾ [الشمس:7-8]، ثم أشارت الآيات بعد هذا إلى موقف الإنسان من هذين النجدين، إذ يقول جل شأنه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:9-10].. فالمناسبة بين السورتين ظاهرة".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

إن المناسبة بين سورة الشمس وما قبلها ظاهرة جلية في بيان طريق الفلاح والخيبة، وهذا ما ذكره الخطيب بشكل واضح ومختصر حيث ربط محور السورة العام لسورة الشمس بمحور ومقصد سورة البلد، وهو أيضاً ما بيّنه الإمام الغرناطي حين وجه تناسب السورتين فقال: "لما تقدم في سورة البلد تعريفه تعالى بما خلق فيه الإنسان من الكبد مع ما جعل له سبحانه من آلات النظر وبسط له من الدلائل والعبر، أقسم سبحانه في هذه السورة على فلاح من اختار رشده واستعمل جهده، وأنفق وجده ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس:9] وخيبة من عاب هداه فاتبع هواه، ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:10] فبين حال الفريقين وسلوك الطريقين".[2]

وإلى هذا المعنى أشار الإمام أبو حيان موجهًا بشكل أدق تناسب فاتحة سورة الشمس مع خاتمة ما قبلها، حيث قال: "ولما تقدم القسم ببعض المواضع الشريفة وما بعدها، أقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم والسفلي، وبما هو آلة التفكر في ذلك، وهو النفس. وكان آخر ما قبلها مختتما بشيء من أحوال الكفار في

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1581/16.

[2] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 364.

الآخرة، فاختتم هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا، وفي ذلك بمآلهم في الآخرة إلى النار، وفي الدنيا إلى الهلاك المستأصل".[1] وقال الإمام السيوطي مبيّناً أن سورة الشمس ناسبت خاتمة البلد: "إن سورة الشمس ظاهرة الاتصال بسورة البلد، فإنه سبحانه لما ختمها بذكر أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، أراد الفريقين في سورة الشمس على سبيل الفذلكة، فقوله: [في الشمس] ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس:9] هم أصحاب الميمنة في سورة البلد، وقوله: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:10]، هم أصحاب المشأمة في سورة البلد، فكانت هذه السورة فذلكة تفصيل تلك السورة؛ ولهذا قال الإمام السيوطي : "المقصود من هذه السورة: الترغيب في الطاعات، والتحذير من المعاصي".[2] وفي هذا ربط لحال الفريقين في سورة البلد بعاقبتهما في سورة الشمس. وقريب من ذلك ما ذكره الإمام الألوسي في بيان وجه التناسب حين قال: "لما ختم سبحانه السورة المتقدمة بذكر أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أعاد جل شأنه في هذه السورة الفريقين على سبيل الفذلكة بقوله سبحانه ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: 9-10]، وفي هذه ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس: 8] وهو كالبيان لقوله تعالى في الأولى: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد: 10] على أول التفسيرين وختم سبحانه الأولى بشيء من أحوال الكفرة في الآخرة، وختم جل وعز هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا".[3] وقد اختصر كل من الشيخين المراغي والزحيلي ما ذكره الإمام السيوطي وما ذكره الألوسي، فذكر المراغي: "أنه سبحانه ختم السورة السابقة بذكر أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، وأعاد ذكر الفريقين في هذه السورة بقوله: {جَنَّتِي ۝٣٠ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ} ختم السورة السالفة بشيء من أحوال الكفار في الآخرة، وختم هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا".[4] وأشار الزحيلي إلى أن السورة ترتبط بما قبلها من وجهين:[5]

[1] أبو حيّان، البحر المحيط، 485/10.

[2] السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص: 159-160.

[3] الألوسي، روح المعاني، 357/15.

[4] المراغي، تفسير المراغي، 165/30.

[5] الزحيلي، التفسير المنير، 255/30.

1. "ختم الله سبحانه سورة البلد بتعريف أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، ثم أوضح المراد من الفريقين في سورة الشمس بعمل كل منهما حيث قال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: 9-10].
2. أبان الله تعالى في آخر آيات السورة السابقة مصير أو مآل الكفار في الآخرة وهو النار، وذكر تعالى في أواخر هذه السورة عقاب بعض الكفار في الدنيا، وهو الهلاك، فاختتمت السابقة بشيء من أحوال الكفار في الآخرة، واختتمت هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا".

وفي التناسب بين السورتين ما يغني عن الشرح والإيضاح.

المبحث الخامس عشر: سورة الليل ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة الليل هي السورة الثانية والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة في معظم المصاحف وبعض كتب التفسير سورة (الليل) بدون واو، وسميت في معظم كتب التفسير سورة (والليل) بإثبات الواو، وعنونها البخاري[1] والترمذي[2] ب(سورة: والليل إذا يغشى)، وهي مكية في قول الجمهور، وحكى ابن عطية عن المهدوي أنه قيل: إنها مدينة، وقيل: بعضها مدني، وعدت التاسعة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الأعلى وقبل سورة الفجر، وعدد آياتها عشرون آية.[3]

مقصدها: بيان صراط الهداية والتحذير من طريق الغواية، قال البقاعي: "ومقصودها: الدلالة على مقصود الشمس، وهو التصرف التام في النفوس بإثبات كمال القدرة بالاختلاف، وباختلاف الناس في السعي مع اتحاد مقاصدهم، وهي الوصل إلى الملاذ من شهوة البطن والفرج، وما يتبع ذلك من الراحة، واسمها (الليل) أوضح ما فيها على ذلك، بتأمل القسم والجواب، والوقوع من ذلك على الصواب، وأيضا: الليل نفسه دال على ذلك، بأنه على غير مراد النفوس، بما فيه من الظلام، والنوم الذي أخو الموت، وذلك صادر عن كثرة المرادات".[4]

وقال الإمام ابن عاشور في مقصد السورة: "احتوت على بيان شرف المؤمنين وفضائل أعمالهم ومذمة المشركين ومساويهم، وأن الله يهدي الناس إلى الخير فهو يجزي المهتدين بخير الحياتين والضالين بعكس ذلك، وأنه أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم للتذكير بالله وما عنده فينتفع من يخشى فيفلح ويصدف عن الذكرى من كان شقيا فيكون جزاؤه النار الكبرى وأولئك هم الذين صدهم عن التذكر إيثار حب ما هم فيه في هذه الحياة، وأدمج في ذلك الإشارة إلى دلائل قدرة الله تعالى وبديع صنعه".[5]

---

[1] انظر: البخاري، صحيح البخاري، 1889/4.

[2] انظر: الترمذي، سنن الترمذي، 441/5.

[3] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/ 377.

[4] البقاعي، مصاعد النظر، 198/3-199.

[5] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/ 377-378

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الليل والشمس

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في مناسبتها لما قبلها: "ختمت سورة الشمس بهذا العذاب الذي أوقعه الله سبحانه بثمود، فغشيهم العذاب، واشتمل عليهم، ولفهم برداء أسود كئيب، وبدئت سورة الليل بالقسم بالليل إذا يغشى، فكان ظلام هذا الليل كفنا آخر لثمود، يصحبهم في قبورهم التي ابتلعتهم، ويقيم عليهم راية سوداء تحوم عليهم، كما تحوم الغربان على الجيف!".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

تبيّن لي بعد قراءة أقوال المفسرين أن الله تعالى لما ذكر مآل ثمود وطغيانهم وتكذيبهم لرسولهم وجحودهم، ناسب ذلك ذكر الليل بظلامه وطغيانه، فناسب ذكر الليل بعد ذكر أهل الضلال، وأقسم الله تعالى به، وهذا المعنى هو ما ذكره الخطيب في إيراده للمناسبة بين سورة الليل وما قبلها، ووافق ذلك ما ذكره المفسرون من قبله، على أن سورة الشمس جاءت مجملة وجاءت سورة الليل مفصلة لها، وقد رد الإمام أبو حيّان التناسب في سورة الليل إلى بيان الأوصاف الواردة في سورة الشمس، فقال: "ولما ذكر فيما قبلها ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[الشمس: 9-10]، ذكر هنا من الأوصاف ما يحصل به الفلاح وما تحصل به الخيبة، ثم حذر النار وذكر من يصلاها ومن يتجنبها".[2]

وذهب الإمام السيوطي إلى أن سورة الليل تفصيل بعد إجمال لسورة الشمس، فقال: " وسورة الليل هي تفصيل إجمال سورة الشمس، فقوله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل:5] وما بعدها، تفصيل ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1589/16.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، 491/10-492.

﴿٩﴾ [الشمس: 9] ، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨﴾ [الليل:8] الآيات، تفصيل قوله: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس:10]".[1]

وفصّل الإمام الغماري في تناسب السورة مع ما قبلها؛ لكونها قد قسمتا الناس إلى قسمين معلومين، فقال: "تناسب هذه السورة سابقتها في تقسيم الناس إلى قسمين: مؤمن، وهو المفلح ميسر للجنة، وهي اليسرى، وكافر، وهو الخائب ميسر للنار، وهي العسرى".[2]

فنرى معظم المفسرين السابقين متفقين على أن وجه التناسب بين السورتين هو تناسب تفصيل بعد إجمال.

[1] السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص:160.

[2] الغماري، جواهر البيان، ص: 148.

المبحث السادس عشر: سورة الضحى ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة الضحى هي السورة الثالثة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة في أكثر المصاحف سورة (الضحى) بدون واو، وسميت في كثير من التفاسير وفي صحيح البخاري (سورة والضحى)[1] بإثبات الواو، وهي مكية إجماعا وآياتها إحدى عشرة عند الكل، ولا اختلاف فيها، وعدت هذه السورة حادية عشرة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الفجر وقبل سورة الانشراح.[2]

وأما مقصدها فهو رعاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في حياته، ومنته عليه بوحيه؛ تذكيراً بشكر نعمه، قال الإمام ابن عاشور: " أغراضها: إبطال قول المشركين إذ زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبيء صلى الله عليه وسلم قد انقطع عنه، وزاده بشارة بأن الآخرة خير له من الأولى على معنيين في الآخرة والأولى. وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه. وذلك يغيظ المشركين. ثم ذكره الله بما حفه به من ألطافه وعنايته في صباه وفي فتوته وفي وقت اكتهاله وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها من نفع لعبيده وثناء على الله بما هو أهله."[3]

"ومحور السورة وموضوعها يدور على إثبات أن مدة الوحي ليست دليلاً على القلى، مع تعداد أنعم تدل على الرعاية، بالإضافة إلى توجيه للتعامل مع من حرمها".[4]

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، 1891/4.

[2] انظر: البقاعي، مصاعد النظر، 202/3. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 393/30-394.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 394/30.

[4] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ص:5100.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الضحى والليل

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "مناسبتها لما قبلها أنه أقسم سبحانه في سورة الليل، بالليل إذا يغشى، وبالنهار إذا تجلى.. وبدأ بالقسم بالليل، ثم أعقبه بالقسم بالنهار، وهنا يقسم الله سبحانه بالنهار أولا «والضحى» ثم بالليل ثانيا.. «والليل إذا سجى» وبهذا يتوازن الليل والنهار، فيقدم أحدهما في موضع، ويقدم الآخر في موضع، ولكل من التقديم والتأخير في الموضعين مناسبته.. وقد أشرنا من قبل إلى المناسبة في تقديم الليل على النهار في سورة الليل، وسترى هنا المناسبة في تقديم النهار على الليل".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

بعد استقرائي لأقوال المفسرين في بيان وجه المناسبة بين سورتي الضحى والليل وجدت تبايناً في توجيههم للمناسبة بين السورتين، فجاءت مناسبة الإمام الرازي على وجه موضوعي، فربط سورة الليل وسماها سورة (سيدنا أبي بكر)، إذ فيها إشارة إلى خلافة سيدنا أبي بكر وفضله، بسورة الضحى وسماها ب(سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم)، فقال: "سورة (والليل) سورة أبي بكر، وسورة الضحى سورة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم ما جعل بينهما واسطة؛ ليعلم أنه لا واسطة بين محمد وأبي بكر، فإذا ذكرت الليل أولا وهو أبو بكر، ثم صعدت وجدت بعده النهار وهو محمد، وإن ذكرت (والضحى) أولا وهو محمد، ثم نزلت وجدت بعده، (والليل) وهو أبو بكر؛ ليعلم أنه لا واسطة بينهما".[2]

وذكر الإمام الغرناطي وجها جيدا في بيان تناسب سورة الضحى، وأنها جاءت لتؤنس قلب النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بعد الآيات التي تسوق العبد إلى الخضوع والإذعان والتسليم في خاتمة سورة الليل، فقال: "لما قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[الشمس: 8]، ثم اتبعه بقوله: "فسنيسره " وبقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1598/16.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، 191/31.

لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ﴿١٣﴾﴾ [الليل: 11-12]، فلزم الخوف، واشتد الفزع وتعين على الموحد الإذعان بالتسليم والتضرع في التخلص والتجاؤه إلى السميع العليم، آنس تعالى أحب عباده إليه وأعظم منزلة لديه، وذكر له ما منحه من تقريبه واجتبائه، وجمع خير الدارين له، فقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴿٤﴾﴾ [الضحى:1-4]".[1]

وسار البقاعي على ما سار عليه الرازي، إلا أنه ربط خاتمة سورة الليل باسم سورة الضحى، فقال: "ولما حكم في آخر الليل بإسعاد الأتقياء، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أتقى الخلق مطلقا، أقسم سبحانه وتعالى بهما على أنه أسعد الخلائق دنيا وأخرى".[2]

بينما كان تناسب الإمام السيوطي في المفردات، فذكر الآيات المتشابهة بين السورتين؛ ليترك للقارئ الربط بينهما، فقال: " أنها متصلة بسورة الليل من وجهين، فإن فيها: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل:13]، وفي الضحى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴿٤﴾﴾ [الضحى:4]، وفي الليل:﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل:21]، وفي الضحى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴿٥﴾﴾ [الضحى:5]، فلما كانت سورة الضحى نازلة في شأنه صلى الله عليه وسلم افتتحت بالضحى، الذي هو نور، ولما كانت سورة الليل [نازلة في بخيل في قصة طويلة]، افتتحت بالليل الذي هو ظلمة".[3]

وبين الزحيلي أن هذه السورة متصلة بسورة الليل من وجهين: [4]

1. "ختمت سورة الليل بوعد كريم من الله تعالى بإرضاء الأتقى في الآخرة، وقال تعالى في سورة الضحى مؤكدا وعده لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴿٥﴾﴾ [الضحى:5].

[1] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 365-366.
[2] البقاعي، نظم الدرر، 22/100-101.
[3] السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص:160.
[4] الزحيلي، التفسير المنير، 30/279.

2. ذكر تعالى في السورة السابقة: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧﴾[الليل:17]، ، ثم عدد الله تعالى نعمه على سيد الأتقياء في هذه السورة وهو محمد صلى الله عليه وسلم".

أما الإمام الخطيب فنرى أنه اقتصر على بيان معنى مغاير لمن قبله من المفسرين، فحصر المناسبة بين السورتين في وجه تقديم الليل على النهار في سورة الليل، وتأخيره في سورة الضحى، دون مزيد من الإيضاح والتفصيل، ولعله قد غاب عنه أوجه في التناسب أكثر صلة وارتباطاً من الوجه الذي ذكره.

المبحث السابع عشر: سورة الشرح ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة الشرح هي السورة الرابعة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت في بعض التفاسير (سورة ألم نشرح) و(سورة الشرح) و (سورة الانشراح)، وهي مكية بالاتفاق، وقد عدت الثانية عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الضحى وقبل سورة العصر، وعدد آياتها ثمان آيات.[1]

مقصدها: مؤانسة فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وبشارته بالخير العظيم، قال البقاعي: "ومقصودها: تفصيل ما في آخر الضحى من النعمة، وبيان أن المراد بالتحدث بها: هو شكرها بالنصب في عبادة الله، والرغبة إليه بتذكر إحسانه، وعظيم رحمته بوصف الربوبية، وامتنانه، وعلى ذلك دل اسمها "الشرح".[2]

وقال ابن عاشور: "احتوت على ذكر عناية الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بلطف الله له، وإزالة الغم والحرج عنه، وتفسير ما عسر عليه، وتشريف قدره لينفس عنه، فمضمونها شبيه بأنه حجة على مضمون سورة الضحى تثبيتا له بتذكيره سالف عنايته به وإنارة سبيل الحق وترفيع الدرجة؛ ليعلم أن الذي ابتدأه بنعمته ما كان ليقطع عنه فضله، وكان ذلك بطريقة التقرير بماض يعمله النبيء صلى الله عليه وسلم، وأتبع ذلك بوعده بأنه كلما عرض له عسر، فسيجد من أمره يسرا كدأب الله تعالى في معاملته، فليتحمل متاعب الرسالة، ويرغب إلى الله عونه".[3]

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 407/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 207/3-208.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 407/30-408.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الشرح والضحى

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "هذه السورة متمة لسورة «الضحى» قبلها، فكلتاهما عرض لما أنعم الله به على النبي، وتذكير له بهذه النعم، وتوجيه له إلى ما ينبغي أن يؤديه لها من حق عليه، وهكذا شأن كل نعمة ينعم الله بها على الإنسان، لا تتم إلا بالشكر للمنعم، وبالإنفاق منها على كل ذي حاجة إليها".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

يتبين لي أن مناسبة سورة الشرح لما قبلها واضحة جلية متعلقة ببيان فضل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلو منزلته، وتعداد نعمه عليه سبحانه وحثه على أداء حقها وشكرها، وهذا تمامًا ما أورده الخطيب في التناسب بين السورتين.

وذكر الإمام البقاعي مناسبة دقيقة بين السورتين، فبيّن أن الاستفهام الإنكاري المذكور في سورة الشرح مناسب لخاتمة سورة الضحى، فقال: "ولما أمره صلى الله عليه وسلم آخر الضحى بالتحديث بنعمته التي أنعمها عليه فصلها في هذه السورة فقال مثبتا لها في استفهام إنكاري مبالغة في إثباتها عند من ينكرها والتقرير بها مقدما المنة ب(الشرح) في صورته قبل الإعلام بالمغفرة، كما فعل ذلك في سورة الفتح الذي هو نتيجة الشرح؛ لتكون البشارة بالإكرام أولا، لافتا القول إلى مظهر العظمة تعظيما للشرح. {ألم نشرح} أي: شرحا يليق بعظمتنا".[2]

ثم ذكر السيوطي وجه المناسبة وقال: "هي شديدة الاتصال بسورة الضحى؛ لتناسبهما في الجمل؛ ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما، قال الإمام: والذي دعاهم إلى ذلك هو: أن قوله: {ألم نشرح} كالعطف على ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى:6]، قلت: وفي حديث الإسراء أن

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1604/16.

[2] البقاعي، نظم الدرر، 115/22.

الله تعالى قال: "يا محمد، ألم أجدك يتيما فأويت، وضالا فهديت، وعائلا فأغنيت، وشرحت لك صدرك، وحططت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت" الحديث أخرجه ابن أبي حاتم[1]، وفي هذا أوفى دليل على اتصال السورتين معنى".[2]

وقد أورد هذه الرواية على سبيل الاتصال المعنوي لا اللفظي، وقد أعاد الزحيلي المعنى الذي ذكره الإمام السيوطي مع ذكره للخلاف بين السورتين، فقال: "مناسبتها لما قبلها: هي شديدة الاتصال بسورة الضحى، لتناسبهما في الجمل والموضوع؛ لأن فيهما تعداد نعم الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم، مع تطمينه وحثه على العمل والشكر، حيث قال في السورة السابقة: وأضاف هنا وعطف: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:1].. ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما، والأصح المتواتر كونهما سورتين، وإن اتصلتا معنى".[3]

وقد صاغ سيد قطب والشيخ الغماري المناسبة بين السورتين بشكل موضوعي، فقال صاحب الظلال: "نزلت هذه السورة بعد سورة الضحى وكأنها تكملة لها، فيها ظل العطف الندي، وفيها روح مناجاة الحبيب للحبيب، وفيها استحضار مظاهر العناية، واستعراض مواقع الرعاية، وفيها البشرى باليسر والفرج، وفيها التوجيه إلى سر اليسر وحبل الاتصال الوثيق".[4] وقال الشيخ الغماري: "نفى الله تعالى في السورة السابقة ترك نبيه، رداً لدعوى بعض المشركين ذلك، وامتن عليه ببعض نعم أنعم عليه بها قبل النبوة، ثم قال له ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:11] فذكر هنا نعماً منحه إياها في بدء النبوة وبعدها، وهي شرح صدره، ووضع وزره، ورفع ذكره، وتيسير العسير له، فالسورتان متناسبتان في الموضوع، متقاسمتان بيان فضل النبي عليه الصلاة والسلام".[5]

---

[1] ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، 3445/10، وضعّف الألباني سنده (ومعناه صحيح) في السلسلة الضعيفة، ص:1746.

[2] السيوطي، تناسق الدرر، ص:161.

[3] الزحيلي، التفسير المنير، 291/30.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، ص: 3929.

[5] الغماري، جواهر البيان، ص: 149.

وقد وقعت على استنباط جميل شمل أوجه المناسبات بين السورتين جميعها قال فيه الباحث: "ومن خلال ما تقدم من أوجه المناسبة يتبين أن فاتحة سورة الشرح أتت مكملة لخاتمة سورة الضحى، وذلك من عدة وجوه، أولها: تناسب انتهاء الوصايا في سورة الضحى ببيان الله تعالى نعمه لحبيبه صلى الله عليه وسلم وهو من باب التشريف والتعظيم لحبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، ثانيها: ناسبت آخر كلمة في سورة الضحى بداية أول سورة الشرح، وكأنه توجيه إلهي للنبي صلى الله عليه وسلم أن يحدّث ويبوح بشرح صدره، ووضع وزره، ورفع ذكره. ثم إن البشارة الربانية لحبيبنا المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه تتضح في هاتين السورتين وفيهما من الرسائل العجيبة لأمته، فإن من اقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم في رحمه باليتيم والضعيف، وبعدم زجره للسائل المحتاج، وبالشاكر لإحسانه، الحامد الذاكر لنعمه سبحانه؛ فسيشرح الله صدره ويزيل همومه وأحزانه ويرفع ذكره".[1]

تناول هذا الفصل دراسة تطبيقية لعلم المناسبات بين السور في النصف الأول من جزء عمّ، اعتمادًا على تفسير عبد الكريم الخطيب. يركّز الفصل على إبراز الترابط الموضوعي والبياني بين السور المتتالية، خاصة في موضوعات: إثبات البعث والقيامة، عرض أهوال يوم القيامة، بيان حال المؤمنين والكافرين.

وأهم ما كان فيه من نتائج: وجود ترابط واضح بين السور، مثل: المرسلات والنبأ: انتقال من التهديد إلى التساؤل عن البعث، النبأ والنازعات: تأكيد وقوع البعث بعد إنذاره، النازعات وعبس: بيان من ينتفع بالإنذار ومن لا ينتفع، عبس والتكوير والانفطار: تسلسل في عرض مشاهد القيامة، وأيضاً، تميز تفسير الخطيب في اهتمامه بذكر المناسبة في بداية كل سورة، واستخدام أسلوب أدبي تحليلي، لكنه أحيانًا يطيل في شرح المناسبة أو يكون أقل وضوحًا مقارنة ببعض المفسرين

[1] الأبرش، التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها (رسالة ماجستير)، ص: 104.

الفصل الثاني

نماذج تطبيقية على علم المناسبات من سورة التين إلى سورة الناس عند عبد الكريم الخطيب

تحدثت في الفصل السابق عن عناية عبد الكريم الخطيب بالمناسبات بين السور القرآنية من خلال إجراء دراسة تطبيقية على جزء عمّ من سورة النبأ الى سورة الشرح وبيّنت كيف سار الخطيب في تفسيره لكل سورة وكيف كان يربط السورة بسابقتها ويوضح المناسبة بينهما، ونكمل في هذا الفصل تتمة الدراسة لسور جزء عم من سورة التين إلى سورة الناس.

المبحث الأول: سورة التين ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة التين هي السورة الخامسة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت في معظم كتب التفسير ومعظم المصاحف (سورة والتين) بإثبات الواو تسمية بأول كلمة فيها، وسماها بعض المفسرين (سورة التين) بدون واو لأن فيها لفظ التين، وهي مكية عند أكثر العلماء، وذكر القرطبي عن قتادة أنها مدنية، ونسب أيضا إلى ابن عباس، والصحيح عن ابن عباس أنه قال: هي مكية، وعدت الثامنة والعشرين في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة البروج وقبل سورة الإيلاف، وعدد آياتها ثمان.[1]

قال الإمام البقاعي في مقصد سورة التين: "ومقصدها: سر مقصود (ألم نشرح) وذلك هو إثبات القدرة الكاملة، وهو المشار إليه باسمها، فإن في خلق التين والزيتون من الغرائب، ما يدل على ذلك، وكذا فيما أشير إليه بذلك من النبوات، وضم القسم إلى المقسم عليه، وهو الإنسان، الذي هو المحب ما في الأكوان، واضح في ذلك".[2]

[1] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 110/20.انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 419/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 209/3.

وقد أشار البقاعي إلى أن المحور الذي تدور حوله سورة التين إثبات القدرة الكاملة لله تعالى، وهو ما يتضح للناظر من خلال رؤية ما في التين والزيتون من الغرائب والفوائد.[1]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين التين والشرح

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب عن مناسبتها لما قبلها: "ختمت سورة الانشراح بالدعوة إلى الكد والنصب، في الحياة الدنيا، ليبني الإنسان بذلك دار مقامه في الآخرة، ويعمرها بما يساق إليه فيها من نعيم الله ورضوانه. وبدئت سورة «التين» بهذه الأقسام من الله سبحانه وتعالى، لتقرير حقيقة الإنسان وتذكيره بوجوده، وأن الله سبحانه خلقه في أحسن تقويم، وأودع فيه القوى التي تمكن له من الاحتفاظ بهذه الصورة الكريمة، وأن يبلغ أعلى المنازل عند الله، ولكن ميل الإنسان إلى حب العاجلة، قد أغراه باقتطاف الذات الدانية له من دنياه، دون أن يلتفت إلى الآخرة، أو يعمل لها، فرد إلى أسفل سافلين.. وقليل هم أولئك الذين عرفوا قدر أنفسهم، فعلوا بها عن هذا الأفق الضيق، ونظروا إلى ما وراء هذه الدنيا".[2]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

إذا نظرنا في هاتين السورتين من غير تأمل وجدنا انعدام المناسبة بينهما، لكن عند تتبع معانيهما ومدلول ألفاظهما واطلاعنا على أقوال المفسرين واجتهاداتهم، نجد المناسبة تظهر لنا من أكثر من وجه، فبيّن الله تعالى مقام النبوة في سورة الشرح ثم وضّح في سورة التين مصير من اتبع هذا المقام من الأمم، وقد أشار الإمام ابن الزبير الغرناطي إلى أن مناسبة فاتحة سورة التين لما قبلها تشير إلى الكمال الذي خلقه الله تعالى في النبي صلى الله عليه وسلم، ذاكراً نعم الله تعالى على نبيه، وهذا المعنى هو ما أورده الخطيب أيضاً في بيان المناسبة بين السورتين، ويشابه ذلك ما قاله الغرناطي إلى حد كبير، ولعله أيضا ذكر شيئاً مشابهاً

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر، 134/22.

[2] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1612/16-1613.

لما قاله الإمام أبو حيّان في بيانه لهذه المناسبة في أن سورة التين فيها إشارة إلى من يعادي النبي صلى الله عليه وسلم بأن يرده إلى أسفل السافلين بعد أن خلقه على فطرة سوية تقبل الحق، فقال أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها من كمله الله خلقا وخلقا، وفضله على سائر العالم، ذكر هنا حالة من يعاديه، وأنه يرده أسفل سافلين في الدنيا والآخرة، وأقسم تعالى بما أقسم به أنه خلقه مهيأ لقبول الحق، ثم نقله كما أراد إلى الحالة السافلة".[1]

وأوضح الإمام البقاعي وجه تناسب فاتحة سورة التين مع خاتمة سورة الشرح مفصِّلاً ما ذكره الإمام أبو حيان، مشيراً إلى أن أكمل الأنواع هو الإنسان، وأكمل البشر هو الحبيب المصطفى عليه السلام والسلام، فيقول: "لما ذكر سبحانه وتعالى في تلك السورة (الشرح) أكمل خلقه وما كمله به، وختمها بالأمر بتخصيصه سبحانه وتعالى بالرغبة إليه، ذكر في هذه أنه سبحانه وتعالى كما جعل ذاته أكمل ذوات المخلوقات خصه بأن جعل نوعه صلى الله عليه وسلم أكمل الأنواع وهو الإنسان، وأصله أعظم الأصول هو إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وبلده أفضل البلاد وهي مكة".[2]

وأضاف الإمام السيوطي ملمحاً جديداً في أوجه المناسبة مختلفاً عما ذكره من قبله، فقال: "فظهر من هذه المناسبة وضعها بعد {ألم نشرح}، فإن تلك أخبر فيها عن شرح صدر النبي صلى الله عليه وسلم وذلك يستدعي كمال عقله وروحه، فكلاهما في القلب الذي محله الصدر، وعن تبرئته من الوزر الذي ينشأ عن النفس والهوى، وهو معصوم منهما، وعن رفع الذكر؛ حيث نزه مقامه عن كل وصم، فلما كانت هذه السورة في هذا العلم الفرد من الإنسان، أعقبها بسورة مشتملة على بقية الأناسي، وذكر ما خامرهم من متابعة النفس والهوى".[3]

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، 502/10.

[2] البقاعي، نظم الدرر، 130/22-131.

[3] السيوطي، تناسق الدرر، ص:162-163.

فمن أوجه المناسبة بين خاتمة سورة الشرح وفاتحة سورة التين أن التقرب إلى الله تعالى في العبادة والطاعة والاجتهاد في ذلك، سبيل إلى معرفة الإنسان ذاته، وتبصره في نفسه، وتأسيه بحبيبه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: سورة العلق ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة العلق هي السورة السادسة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، اشتهرت تسمية هذه السورة في عهد الصحابة والتابعين باسم (سورة اقرأ باسم ربك)، وسميت في المصاحف ومعظم التفاسير (سورة العلق) لوقوع لفظ (العلق) في أوائلها، وكذلك سميت في بعض كتب التفسير، وتسمى أيضاً (سورة اقرأ)، وهي مكية باتفاق، ونزل أولها بغار حراء على النبيء صلى الله عليه وسلم وهو مجاور فيه في رمضان ليلة سبع عشرة منه من سنة أربعين بعد الفيل، وعدد آياتها في عد أهل المدينة ومكة عشرون، وفي عد أهل الشام ثمان عشرة، وفي عد أهل الكوفة والبصرة تسع عشرة.[1]

وأما مقصدها فهو بيان الاتجاهات التي يسلكها الإنسان حتى يبلغ الحقيقة الكبرى، قال الإمام البقاعي: "ومقصودها، الأمر بعبادة من له الخلق والأمر، شكراً لإحسانه، واجتناباً لكفرانه، طمعاً في جنانه، وخوفاً من نيرانه، لما ثبت من أنه يدين العباد يوم المعاد، وكل من اسميها دال على ذلك، لأن المربي يجب شكره، ويحرم كفره على أن "اقرأ" يشير إلى الأمر، والعلق يشير إلى الخلق، واقرأ يدل على البداية، وهي العبادة بالمطابقة، وعلى النهاية، وهي النجاة يوم الدين باللازم، والعلق يدل على كل من النهاية والبداية بالالتزام، لأن من عرف أنه مخلوق من دم؛ عرف أن خالقه قادر على إعادته من تراب، فإن التراب أقبل للحياة من الدم، ومن صدق بالإعادة عمل لها، وخص العلق، لأنه مركب الحياة، ولذلك سمّى نفساً، فكأنه إشارة إلى تحريم أكل الدم، لأن من أكله تطبع بطابع صاحبه، وصارت نفسه كنفسه".[2]

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/433-434.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 3/213.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين العلق والتين

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "كانت سورة التين مواجهة للإنسان في خلقه القويم، الجليل، الذي خلقه الله عليه، وأن هذا الإنسان إذا استطاع أن يحتفظ بهذا الخلق الكريم، كان في أعلى عليين.. أما إذا لم يحسن سياسة هذا الخلق، ولم يحسن تدبيره فإنه يهوى إلى أسفل سافلين. وتبدأ سورة العلق بهذه الواجهة مع الإنسان في أعلى منازله، وأكرم وأشرف صورة له، وهو رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه، مدعوا من ربه إلى أكمل كمالات الإنسان، وأكرم ما يتناسب مع كماله وشرفه، وهو القراءة، التي هي مجلى العقل، ومنارة هديه ورشده، وبهذا تكون المناسبة جامعة بين السورتين، ختاما، وبدءا".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

عندما ختم الله تعالى سورة التين بقوله ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين:8]. ناسب أن تكون حكمته تنزيل القرآن وتعليم الإنسان، فافتتحت سورة العلق ب ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق:1-5] ، فوجه المناسبة بين فاتحة سورة العلق وخاتمة سورة التين من خلال مناسبة ابتداء الإنسان ونهايته في سورة العلق؛ لبيان الله تعالى أنه أحكم الحاكمين في سورة التين، فالمناسبة التي ذكرها الخطيب، جاءت بتلك المعاني ولكن بصورة غير واضحة؛ إذ إنه بذكره لهذه المناسبة فصل في كيفية أن يحفظ الإنسان نفسه في أحسن تقويم، وأن لا يُرد إلى أسفل سافلين يكون ذلك بالقراءة والعلم النافع، وهذا ما ختمت به سورة التين وابتدأت به الأعلى، وهذا الربط لم أجده إلا عند الخطيب فقط.

ولعل الإمام أبو حيان أورد جزئية من هذا المعنى والربط؛ من خلال استيضاح سورة العلق للأطوار والنعم التي منحت للإنسان الذي خلق في أحسن تقويم، فقال: "ولما ذكر فيما قبلها خلق الإنسان في أحسن تقويم،

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1621/16.

ثم ذكر ما عرض له بعد ذلك، ذكره هنا منبها على شيء من أطواره، وذكر نعمته عليه، ثم ذكر طغيانه بعد ذلك وما يؤول إليه حاله في الآخرة".[1] فكانت سورة العلق مفصلة لمجمل سورة التين.

ومن الأوجه الحسنة في بيان وجه المناسبة بين فاتحة سورة العلق وخاتمة سورة التين، ما وضحه الإمام السيوطي في أن سورة التين فيها بيان العلة الصورية وفي سورة العلق بيان العلة المادية، فقال: "لما تقدم في سورة التين بيان خلق الإنسان في أحسن تقويم، بين هنا أنه تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق:2] وذلك ظاهر الاتصال، فالأول بيان العلة الصورية، وهذا بيان العلة المادية، أنه تعالى لما قال في آخر التين: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين:8] بين في أول العلق أنه تعالى مصدر علم العباد بحكمته، فبين أنه ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق:4-5]، وصدر ذلك بالأمر بالقراءة، واستفتاحها باسمه دائما؛ لتكون للإنسان عوناً على كمال العلم بحكمة أحكم الحاكمين".[2]

وعلى هذا السياق سار الألوسي والمراغي والزحيلي، فقال الألوسي: "ولما ذكر سبحانه في سورة التين خلق الإنسان في أحسن تقويم بيّن عز وجل هنا أنه تعالى خلق الإنسان من علق فكان ما تقدم كالبيان للعلة الصورية، وهذا كالبيان للعلة المادية".[3]

وقال المراغي: "ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر هناك خلق الإنسان في أحسن تقويم، وذكر هنا خلق الإنسان من علق، إلى أنه ذكر هنا من أحوال الآخرة ما هو كالشرح والبيان لما سلف".[4]

وقال الزحيلي: "مناسبتها لما قبلها: ذكر الله تعالى في سورة التين أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهذا بيان للصورة، وذكر هنا أنه: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾[العلق:2] وهذا بيان للمادة، وذكر تعالى في هذه السورة من أحوال الآخرة بياناً توضيحياً لما ذكر في السورة السالفة".[5]

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط، 506/10.

[2] السيوطي، تناسق الدرر، ص:163.

[3] الألوسي، روح المعاني، 400/15.

[4] المراغي، تفسير المراغي، 197/30.

[5] الزحيلي، التفسير المنير، 311/30.

المبحث الثالث: سورة القدر ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة القدر هي السورة السابعة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وهي مكية في قول الجمهور، وعن ابن عباس أيضا والضحاك أنها مدنية ونسبه، نزلت بعد سورة عبس وقبل سورة الشمس، فأما قول من قالوا إنها مدنية فيقتضي أن تكون نزلت بعد المطففين وقبل البقرة، وآياتها خمس في العدد المدني والبصري والكوفي، وست في العد المكي والشامي.[1]

مقصدها: بيان أفضلية ليلة القدر وعظيم شأنها، وقال البقاعي: "ومقصودها: تفضيل الأمر الذي هو إحدى قسمي ما ضمنه مقصود اقرأ. وعلى ذلك دل اسمها، لأن ليلة القدر فضلت به، فهو من إطلاق المسبب على السبب، وهو دليل لمن يقول باعتبار تفضيل الأوقات، لأجل ما كان فيها، كما قال ذلك اليهودي في اليوم الذي نزل فيه: قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[المائدة:3]، وأقره الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ذلك، والله أعلم".[2]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين القدر والعلق

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في تفسيره: "ختمت سورة العلق بقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق:19] ، وجاءت بعد ذلك سورة القدر، وفيها تنويه بشأن هذا القرآن الذي أنزل على النبي، والذي هداه ربه، وملأ قلبه إيماناً ويقيناً بعظمته وجلاله.. وبهذا الإيمان الوثيق يتجه النبي إلى ربه لا يخشى وعيداً، ولا يرهب تهديداً".[3]

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 455/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 217/3.

[3] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1632/16.

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

عند استقرائي لأوجه المناسبة بين سورتي العلق والقدر وجدت إجماع المفسرين على أن المناسبة تتمحور حول موضوع القرآن الكريم في السورتين، لكن هناك زيادات عند بعض المفسرين لأوجه إضافية في بيان التناسب بينهما، ووافق الخطيب ما جاء به غيره من المفسرين في إيرادهم لوجه التناسب المذكور، غير أنهم كانوا أكثر تفصيلاً وإيضاحاً منه، فمثلاً نرى الإمام البقاعي قد توسع في بيان المناسبة، حيث ربط القرب والسجود في سورة العلق بتلاوة القرآن الكريم مع جلالة القرآن وعظمة إنزاله في سورة القدر، فقال: "لما ذكر الله سبحانه وتعالى كتابه في هذا الذكر العربي المعجز، ذكر إنزاله مستحضراً في كل قلب، كان ذلك مغنياً عن إعادته بصريح اسمه، فكان متى أضمره علمه المخاطب بما في السياق من القرائن الدالة عليه، وبما له في القلب من العظمة وفي الذهن من الحضور لا سيما في هذه السورة لافتتاح العلق بالأمر بقراءته، وختمها بالصلاة التي هي أعظم أركانها، فكانت دلالتها عليه دلالة هي في غاية الوضوح".[1]

وقد لخّص هذا المعنى الإمام الألوسي فقال: "ووجه مناسبتها قبلها أنها كالتعليل للأمر بقراءة القرآن المتقدم فيه، كأنه قيل: اقرأ القرآن، لأن قدره عظيم، وشأنه فخيم".[2]

بينما ربط الشيخ المراغي فاتحة سورة القدر مع أول سورة العلق بالأمر الإلهي لقراءة القرآن مع توجيه ذلك في سورة القدر وهو متعلق بمناسبة فاتحة السورة لفاتحة ما قبلها فقال: "ومناسبتها لما قبلها أن في تلك (العلق) أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ القرآن باسم ربه الذي خلق، واسم الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وفى هذه ذكر القرآن ونزوله وبيان فضله، وأنه من عند ربه ذي العظمة والسلطان، العليم بمصالح الناس وبما يسعدهم في دينهم ودنياهم، وأنه أنزله في ليلة لها من الجلال والكمال ما قصته السورة الكريمة".[3]

[1] البقاعي، نظم الدرر، 22/176-177.

[2] الألوسي، روح المعاني، 15/411.

[3] المراغي، تفسير المراغي، 30/206.

وإلى هذا سار الزحيلي، فقال: "أمر الله تعالى في سورة العلق نبيه صلى الله عليه وسلم بقراءة القرآن باسم ربه الذي خلق، واسم الذي علم الإنسان ما لم يعلم، ثم أبان في هذه السورة زمن البدء في نزول القرآن، وهو ليلة القدر ذات الشرف الرفيع والقدر العالي بسبب نزول القرآن فيها".[1]

ومن أوجه المناسبة في هذه الآيات بيان فضل السجود في ليالي القدر، فلما ختم الله تعالى سورة العلق بتوجيه حبيبه صلى الله عليه وسلم إلى السجود والقرب منه، مهاجراً عن كل صنوف الهموم، مستريحا بصلاته، ألمح إليه وإلى أمته أنّ من ليالي القرب والمناجاة ليلة القدر.[2]

[1] الزحيلي، التفسير المنير، 330/30.

[2] انظر: الأبرش، التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها (رسالة ماجستير)، ص:126.

المبحث الرابع: سورة البينة ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة البينة هي السورة الثامنة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة بسورة البينة، وسورة القيمة، وسورة أهل الكتاب، وسميت سورة البرية، وسميت سورة الانفكاك، وسورة لم يكن، واختلف في أنها مكية أو مدنية، قال ابن عطية[1]: الأشهر أنها مكية وهو قول جمهور المفسرين. وعن ابن الزبير وعطاء بن يسار هي مدينة، نزلت بعد سورة الطلاق وقبل سورة الحشر، وعدد آياتها ثمان عند الجمهور، وعدها أهل البصرة تسع آيات.[2]

مقصدها: بيان عظيم التنزيل الحكيم في مآل أهل الضلال وأهل النعيم، قال البقاعي: "ومقصدها: الإعلام بأن هذا الكتاب القيم، من علو مقداره، وجليل آثاره، إن كان لقوم نورا وهدى، فهو لآخرين وقرا وعمى. فيقود إلى الجنة دار الأبرار، ويسوق إلى النار دار الأشقياء الفجار، وفي ذلك دل كل من أسمائها: الذين كفروا، والمنفكين، والبرية، بتأمل الآية في انقسام الناس إلى أهل الشقاوة، وأهل الهداية، والقيمة: بانقسام أهل الدعوة فيها بحسب الإرادة إلى القسمين: أهل الشقاوة وأهل السعاد".[3]

وقال ابن عاشور أن من أغراض السورة:" توبيخ المشركين وأهل الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، والتعجيب من تناقض حالهم إذ هم ينتظرون أن تأتيهم البينة، فلما أتتهم البينة كفروا بها وتكذيبهم في ادعائهم أن الله أوجب عليهم التمسك بالأديان التي هم عليها، ووعيدهم بعذاب الآخرة والتسجيل عليهم بأنهم شر البرية، والثناء على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ووعدهم بالنعيم الأبدي، ورضى الله عنهم وإعطائه إياهم ما يرضيهم. وتخلل ذلك تنويه بالقرآن وفضله على غيره باشتماله على ما في الكتب الإلهية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل وما فيه من فضل وزيادة".[4]

---

[1] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 507/5.

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 467/30-468.

[3] البقاعي، مصاعد النظر، 220/3.

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 468/30.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين البينة والقدر

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في مناسبتها لما قبلها: "كانت سورة القدر التي سبقت هذه السورة تنويها بالليلة المباركة التي نزل فيها القرآن الكريم، فنالت بشرف نزوله فيها هذا القدر العظيم الذي ارتفعت به على الليالي جميعا.. فالتنويه بليلة القدر هو في الواقع تنويه بالقرآن الكريم، وأن الاتصال به يكسب الشرف ويعلى القدر للأزمان والأمكنة والأشخاص.

وسورة البينة تحدث عن هذا القرآن، وعن رسول الله الحامل لهذا القرآن، وموقف الكافرين من أهل الكتاب والمشركين، من القرآن، والرسول الداعي إلى الله بالقرآن.. ومن هنا كان الجمع بين السورتين قائما على هذا الترابط القوي، الذي يجعل منهما وحدة واحدة".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

يظهر لي من خلال ما اطلعت عليه من أقوال المفسرين أن سورة البينة هي من تمام كمال ما تقدمها من سورة القدر والعلق وهي بمثابة العلة لما قبلها، فهي كالعلة لإنزال القرآن المشار إليه في سورة القدر المتقدمة، وهو ما أورده الخطيب وأشار إليه، ووافق غيره من المفسرين في إيضاح وجه التناسب هذا، فنرى الإمام الغرناطي أيضاً قد أشار لوجه التناسب هذا بين فاتحة سورة البينة وخاتمة سورة القدر من خلال إبراز المحور الأساسي لسورة القدر، وهو بيان فضل القرآن الكريم، فقال: "هي من تمام ما تقدمها؛ لأنه لما أمره عليه الصلاة والسلام بأن هذا الكتاب هو الذي كانت يهود تستفتح به على مشركي العرب وتعظم أمره، فإن هؤلاء كانوا قد قدم إليهم في أمر الكتاب والآتي به ما يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، وقد كانوا يؤملون الانتصار به عليه الصلاة والسلام من أعدائهم، ويستفتحون بكتابه ...".[2]

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1638/16.

[2] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص:373.

وعقد الإمام أبو حيان وجه مناسبة فاتحة سورة البينة بسورة القدر والعلق من خلال ذكر القرآن الكريم وعدم انفكاك المشركين حتى أتاهم القرآن الكريم، فقال: "ولما ذكر إنزال القرآن، وفي السورة التي قبلها ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:1] ذكر هنا أن الكفار لم يكونوا منفكين عما هم عليه حتى جاءهم الرسول يتلو عليهم ما أنزل عليه من الصحف المطهرة التي أمر بقراءتها".[1]

وعلى هذا سار الإمام السيوطي مبيّناً أن سورة البينة أجابت عن سؤال أول سورة القدر وهو عن سبب نزول القرآن الكريم، وهذا من قبيل الربط بين فاتحة سورة القدر وفاتحة سورة البينة، فقال: "هذه السورة واقعة موقع العلة لما قبلها؛ كأنه لما قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [القدر:1] قيل: لِمَ أنزل؟ فقيل: لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة، وهو رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة، وذلك هو المنزَّل".[2]

واختصر الإمام الألوسي والزحيلي ما ذكره الإمام السيوطي، فقال الألوسي: "ووجه مناسبتها لما قبلها أن قوله تعالى فيها ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ﴾ [البينة:1] إلخ كالتعليل لإنزال القرآن كأنه قيل: إنّا أنزلناه لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى يأتيهم رسول يتلو صحفا مطهرة وهي ذلك المنزل فلا تغفل".[3] وقال الزحيلي: "هذه السورة كالعلة لما قبلها، فكأنه لما قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:1] قيل: لم أنزل القرآن؟ فقيل: لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم، حتى تأتيهم البينة، فهي كالعلة لإنزال القرآن، المشار إليه في سورة القدر المتقدمة".[4]

فلما كانت هذه الليلة وما فيها من الخير العظيم تشغل حال أهل الإيمان والعابدين لله تعالى، فإن حال المشركين منفصل منفك تماماً عن هذا الخير العظيم، إلا من لحق بهذا الخير وآمن بالله ورسوله فهو من المفلحين الناجين.[5]

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط،518/10.

[2] السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص: 164.

[3] الألوسي، روح المعاني، 424/15.

[4] الزحيلي، التفسير المنير، 339/30.

[5] انظر: انظر: الأبرش، التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها (رسالة ماجستير)، ص:132.

المبحث الخامس: سورة الزلزلة ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة الزلزلة هي السورة التاسعة والتسعون حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة في كلام الصحابة سورة (إذا زلزلت)، وسميت في كثير من المصاحف ومن كتب التفسير (سورة الزلزال)، واختلف فيها فقال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وعطاء والضحاك: هي مكية، وقال قتادة ومقاتل: مدنية، ورجح سيد قطب القول بأنها مكية بناء على أسلوبها التعبيري وموضوعها، وعدد آياتها تسع عند جمهور أهل العدد، وعدها أهل الكوفة ثمانٍ.[1]

مقصدها: بيان الحساب والدلالة على المآل، قال الإمام البقاعي: "ومقصودها: انكشاف الأمور، وظهور المقدور أتم ظهور، وانقسام الناس في الجزاء في دار البقاء، إلى سعادة وشقاء، وفي ذلك دل اسمها بتأمل الظرف ومظروفه، وما أفاد من بديع القدر وصروفه".[2]

وذكر الإمام ابن عاشور من أغراضها "إثبات البعث وذكر أشراطه وما يعتري الناس عند حدوثها من الفزع، وحضور الناس للحشر وجزائهم على أعمالهم من خير أو شر وهو تحريض على فعل الخير واجتناب الشر".[3]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الزلزلة والبينة

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "ختمت سورة البينة قبل هذه السورة بما يلقى الكافرون من عذاب، خالدين في النار، وبما يلقى المؤمنون من نعيم، خالدين فيه خلودا مؤبدا في الجنة، وجاءت سورة الزلزلة محدثة بهذا اليوم الذي

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/489-490. سيد قطب، في ظلال القرآن، ص: 3954.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 231/3.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 490/30.

يجزى فيه كل من الكافرين والمؤمنين هذا الجزاء الذي يستحقه كل فريق منهم، فكان عرض هذا اليوم وإخراج الناس فيه من قبور هم للحساب والجزاء– كان عرض هذا اليوم منظورا إليه من خلال صورتي النار والجنة اللتين تحدث عنهما السورة السابقة– كان أبعث المرهبة منه، والخشية من لقائه".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

يظهر لي بشكل واضح اتفاق المفسرين على أن وجه التناسب بين فاتحة سورة الزلزلة وخاتمة سورة البينة يأتي من خلال بيان حال أهل الإيمان وأهل الكفر، وموعد الجزاء والحساب لهم، وهذا المعنى أورده الخطيب بوضوح في بيان التناسب بين السورتين، ووافقه في ذلك الغرناطي الذي قال: "وردت عقب سورة البينة ليبين بها حصول جزاء الفريقين ومآل الصنفين المذكورين في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [البينة:6].. إلى قوله: شر البرية، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البينة:7].. إلى خاتمة السورة".[2]

وزاد بعضهم في أنه لما ذُكر في البينة حال الكافرين والمؤمنين وجزاؤهم، أتت سورة الزلزلة لتبين موعد هذا الجزاء وعلاماته. فقال الإمام أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون في النار، وجزاء المؤمنين، فكأن قائلا قال: متى ذلك؟ فقال: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ [الزلزلة:1].[3]

وقريب مما ذكره الخطيب، قاله الإمام النيسابوري أيضاً، حيث يقول: "لما ختم السورة المتقدمة بالوعيد والوعد أتبعه بذكر وقت الجزاء وعدد من إماراته الزلزلة الشديدة التي تستأهلها الأرض وهي معنى إضافة الزلزال إلى ضمير الأرض".[4]

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1648/16–1649.
[2] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 373–374.
[3] أبو حيان، البحر المحيط، 521/10.
[4] النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 546/6.

وقال الإمام السيوطي: "أقول: لما ذكر في آخر "لم يكن" أن جزاء الكافرين جهنم، وجزاء المؤمنين جنات، فكأنه قيل: متى يكون ذلك؟ فقيل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:1] أي: حين تكون زلزلة الأرض، إلى آخره هكذا ظهر لي، ثم لما راجعت تفسير الإمام الرازي، ورأيته ذكر نحوه، فحمدت الله كثيرا".[1]

وقال الإمام الألوسي: "لما ذكر عز وجل في السورة السابقة جزاء الفريقين المؤمنين والكافرين كان ذلك كالمحرك للسؤال عن وقته فبينه جل شأنه في هذه السورة فقال عز من قائل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي حركت تحريكاً عنيفاً متداركاً متكرراً زِلْزالَها أي الزلزال المخصوص بها الذي تقتضيه بحسب المشيئة الإلهية للبنية على الحكم البالغة".[2]

وإلى وجه المناسبة هذا سار بقية الأئمة المفسرين.

[1] السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ص:165.

[2] الألوسي، روح المعاني، 433/15.

المبحث السادس: سورة العاديات ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها العام

سورة العاديات هي السورة المائة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وسميت في بعض كتب التفسير سورة (والعاديات) بإثبات الواو، واختلف فيها، فقال ابن مسعود وجابر بن زيد وعطاء والحسن وعكرمة: هي مكية، وقال أنس بن مالك وابن عباس وقتادة: هي مدنية، وعدت الرابعة عشرة في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد بناء على أنها مكية نزلت بعد سورة العصر وقبل سورة الكوثر، وآياتها إحدى عشرة.[1]

مقصدها: التحذير من صفات مذمومة تؤدي بالعبد إلى النار، قال البقاعي في مقصد السورة: "ومقصودها الإعلام بأن أكثر الخلق يوم الزلزلة هالك؛ لإيثار الفاني من العز والمال على الباقي عند ذي الجلال، المدلول عليه بالقسم، وهو العاديات، والمقسم عليه، وما عطف عليه، وقد علم: أن اسمها أدل شيء على ذلك".[2]

وقال الإمام ابن عاشور: "أغراضها: ذم خصال تفضي بأصحابها إلى الخسران في الآخرة، وهي خصال غالية على المشركين والمنافقين، ويراد تحذير المسلمين منها، ووعظ الناس بأن وراءهم حسابا على أعمالهم بعد الموت ليتذكره المؤمن ويهدد به الجاحد. وأكد ذلك كله بأن افتتح بالقسم، وأدمج في القسم التنويه بخيل الغزاة أو رواحل الحجيج".[3]

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 497/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 237/3.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 498/30.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين العاديات والزلزلة

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يورد الخطيب مناسبة سورة العاديات لما قبلها ويقول: "الزلزلة التي تزلزلها الأرض يوم البعث، وإخراج الأرض أثقالها وما في جوفها من الموتى، وصدور الناس أشتاتا من القبور إلى موقف الحشر، والمواجهة هناك بين الكافرين والمؤمنين– كل هذا تمثله صورة واقعة في الحياة، نجدها حين تقوم حالة حرب بين الناس، فتزلزل الأرض تحت أقدام الجيوش الزاحفة نحو ساحة القتال، بما يركبون من خيل، وما يحملون من عدد القتال، وهم يصدرون من بيوتهم في سرعة الرياح العاصفة إلى لقاء العدو، لا يمسكهم شيء عن الانطلاق حتى يبلغوا ساحة الحرب.. قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا، هكذا يوم الحرب.. إنه من يوم القيامة قريب في أهواله، وشدائده، وما يلقى الناس منه، من هول وشدة، ففي ميدان الحرب، حساب وجزاء، وربح وخسران، وهول وفزع، يشمل المحاربين جميعا. فالحرب، وميدانها في الدنيا، هي أقرب شيء يمثل به المحشر، والحساب، والجزاء في الآخرة، ولهذا جاءت سورة العاديات تالية سورة الزلزلة، لهذه المشابه التي بينهما".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

عند استقرائي لأقوال المفسرين في بيان وجه التناسب بين السورتين وجدت أن الخطيب قد تفرد في بيانه لوجه التناسب الذي أورده، حيث جعل مشاهد يوم القيامة الواردة في سورة الزلزلة تشابه مشاهد الحرب والهول والفزع والربح والخسارة في سورة العاديات، ورأيت أن هذا معنى محتمل وفيه ربط جميل بين السورتين.

بينما غيره من المفسرين كانت وجه المناسبة لديهم تدور على أنه تعالى لما ذكر الجزاء في الزلزلة أتبع ذلك بتعنيف أصحاب الصفات المذمومة في سورة العاديات.

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 16/1653–1654.

فمثلاً ربط الإمام الغرناطي وجه التناسب من خلال جحود الإنسان وبخله في جواب القسم بسورة العاديات، مع إغفال هذا الإنسان أن الله سيحاسبه أعمل خيراً أو شراً .[1] ونرى الإمام أبو حيان قد وجّه المناسبة من التهديد والوعيد في سورة الزلزلة إلى تعنيف من آثر دنياه على آخرته في سورة العاديات، فقال: "لما ذكر فيما قبلها ما يقتضي تهديدا ووعيدا بيوم القيامة، بتعنيف لمن لا يستعد لذلك اليوم، ومن آثر أمر دنياه على أمر آخرته".[2]

أما الإمام البقاعي فقد أشار إلى أن الجزاء الذي كان لأهل الكفر في سورة الزلزلة أتبعه ببيان الطريق المذكور في سورة العاديات الذي سلكه هؤلاء، فقال: "لما ختم الزلزلة بالجزاء لأعمال الشر يوم الفصل، افتتح هذه ببيان ما يجر إلى تلك الأعمال من الطبع".[3]

وجاء الإمام الألوسي وربط قولي الإمامين أبو حيان والسيوطي مع بعضهما، موضحاً مناسبة جامعة للمعنى الكلي للسورتين، فقال: "لما ذكر سبحانه فيما قبلها الجزاء على الخير والشر، أتبع ذلك فيها بتعنيت من آثر دنياه على آخرته ولم يستعد لها بفعل الخير".[4]

وأضاف محقق كتاب (تناسق الدرر) معنى جيداً في التناسب، إذ بيّن أن سورة الزلزلة توضح جزاء الإنسان على الخير والشر، وأن سورة العاديات تبيّن أن الإنسان بطبعه يحب الخير، وحبه للخير إما للدنيا وهو الشر، وإما للآخرة وهو حقيقة الخير، فهذا الحب هو الذي يوجه الأعمال.[5]

وكل الأقوال السابقة من المعاني المحتملة التي تدور عليها المناسبة بين سورة العاديات وسورة الزلزلة.

---

[1] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص:374.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، 527/10.

[3] البقاعي، نظم الدرر، 210/22-211.

[4] الألوسي، روح المعاني، 441/15.

[5] عطا، عبد القادر، تحقيق كتاب تناسق الدرر للسيوطي، ص:166.

المبحث السابع: سورة القارعة ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة القارعة هي السورة الحادية بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، " واتفق على أنها مكية، وعدت الثلاثين في عداد نزول السور نزلت بعد سورة قريش وقبل سورة القيامة، وآياتها عشر في عد أهل المدينة وأهل مكة، وثمان في عد أهل الشام والبصرة، وإحدى عشرة في عد أهل الكوفة".[1]

مقصدها: تنبيه العباد إلى دقة يوم المعاد، قال الإمام ابن عاشور في مقصدها أن الله تعالى قد "ذكر فيها إثبات وقوع البعث وما يسبق ذلك من الأهوال وإثبات الجزاء على الأعمال وأن أهل الأعمال الصالحة المعتبرة عند الله في نعيم، وأهل الأعمال السيئة التي لا وزن لها عند الله في قعر الجحيم".[2]

وذكر الإمام البقاعي أن مقصدها: "إيضاح يوم الدين، بتصوير أحواله، وتقسيم الناس فيه إلى ناج وهالك واسمها "القارعة" واضح في ذلك".[3]

وقال الشيخ الزحيلي: "موضوع هذه السورة المكية التخويف بأهوال القيامة، وهي كلها تدور حول الموضوع نفسه".[4]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين القارعة والعاديات

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "ختمت سورة العاديات بقوله تعالى: ﴿۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرٞ ۝١١﴾ [العاديات:9-11]، وفيها دعوة إلى الناس أن يحاسبوا

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 509/30.
[2] المرجع السابق، 509/30.
[3] البقاعي، مصاعد النظر، 240/3.
[4] الزحيلي، التفسير المنير، 374/30.

أنفسهم في الدنيا، قبل يوم الحساب والجزاء في الآخرة.. وجاءت سورة القارعة تقرع الناس بهذا اليوم، يوم الجزاء، وتدعوهم إلى الحساب والجزاء، بعد أن أخذوا الفرصة الممكنة لهم من حساب أنفسهم، وإعدادها لهذا اليوم".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

وجدت بعد استقرائي لكثير من المفسرين أن المناسبة واضحة بين فاتحة سورة القارعة وخاتمة ما قبلها، إذ أن محور المناسبة متعلق باليوم الآخر وبيان أحواله، وكما ختمت سورة العاديات بدعوة الناس لمحاسبة أنفسهم قبل يوم الحساب وذكر وقت بعثرة القبور، جاءت سورة القارعة لتبين هذا الوقت وتتكلم عن يوم الحساب، وهذا ما أورده وذكره الخطيب في تفسيره ولم يخرج عن الذي ذكره المفسرين الأولين السابقين.

فقد أحال الإمام الرازي المناسبة إلى سؤال عن ماهية اليوم الآخر، حيث تبرز الإجابة في بداية سورة القارعة بذكر أهوالها، فقال: "اعلم أنه سبحانه وتعالى لما ختم السورة المتقدمة بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: 11] فكأنه قيل: وما ذلك اليوم؟ فقيل هي القارعة".[2]

وذكر الإمام الغرناطي وجه مناسبة شبيهة بما ذكره الإمام الرازي، فقال: "لما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠﴾ [العاديات:9-10] "وكان ذلك مظنة لأن يسأل متى ذلك، فقيل يوم القيامة الهائل الأمر، الفظيع الحال، الشديد البأس والقيامة هي القارعة، وكررت تعظيما لأمرها".[3]

وعلى هذا سار الإمام أبو حيان، فقال: "ومناسبتها لما قبلها ظاهرة، لأنه ذكر وقت بعثرة القبور، وذلك هو وقت الساعة".[4]

---

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1660/16-1661.

[2] الرازي، مفاتيح الغيب، 265/32.

[3] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 374.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، 532/10.

وكذلك الإمام النيسابوري، فقال: "لما ختم السورة المتقدمة بأحوال المعاد ذكر في هذه السورة بعض أحوال الآخرة".[1]

وأما الشيخ المراغي والزحيلي فأوضحا أن المناسبة بين السورتين من خلال ذكر يوم القيامة وأوصافها.

فقال المراغي: "ومناسبتها لما قبلها– أن آخر السابقة كان في وصف يوم القيامة، وهذه السورة يأسرها في وصف ذلك اليوم، وما يكون فيه من الأهوال".[2]

وقال الزحيلي: "ختمت السورة السابقة بوصف يوم القيامة، وأعقبتها هذه السورة برمتها بالحديث عن القيامة ووصفها الرهيب وأهوالها المخيفة".[3]

ومن خلال ما تقدم يتبين وجه مناسبة فاتحة سورة القارعة لخاتمة ما قبلها، من خلال إعلام اللّٰه تعالى العبادَ أنه مطَّلع عليهم، خبيرٌ بهم، عالمٌ بما فعلوه في الدنيا، ويظهر ذلك في قوله: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرٞ﴾ [العاديات: 10–11]، ثمَّ أبان عن حدثٍ عظيم جليل، حدثٍ تقرع منه القلوب، ولما عرَّف اللّٰه تعالى عباده أنه مطَّلع على صدورهم ناسب ذلك بيان الحدث التي تقرع فيه هذه الصدور إيذانًا بالحقيقة الكبرى، فالقارعة هي القيامة نفسها، لأنها تقرع القلوب بهولها.[4]

---

[1] النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 552/6.

[2] المراغي، تفسير المراغي، 224/30.

[3] الزحيلي، التفسير المنير، 374/30.

[4] انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 532/10. وقال ذلك جمهور المفسرين.

المبحث الثامن: سورة التكاثر ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة التكاثر هي السورة الثانية بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وسميت في بعض المصاحف (سورة ألهاكم)، وهي مكية عند الجمهور، واختلف بعض المفسرين في كونها مدنية، واختار ذلك السيوطي في الإتقان أنها مدنية، وقد عدت السادسة عشرة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الكوثر وقبل سورة الماعون بناء على أنها مكية، وعدد آياتها ثمان.[1]

مقصدها: إنذار الإنسان والتدبر بمآله، قال الإمام البقاعي: "ومقصودها: التصريح بما أشارت إليه العاديات، من أن سبب الهلاك يوم الجمع الذي صورته القارعة، الجمع للمال، والإخلاد إلى دار الزوال، وكل من اسميها واضح الدلالة على ذلك".[2]

وقال الشيخ الزحيلي: موضوع هذه السورة المكية ذم العمل للدنيا فقط، والتحذير من ترك الاستعداد للآخرة. لذا تناولت مقاصد ثلاثة، أولها: بيان انشغال الناس بملذات الحياة ومغرياتها، والغفلة حتى يأتي الموت، ثانيها: الإنذار بالسؤال عن جميع الأعمال في القيامة، ثالثها: التهديد برؤية الجحيم يقينا، ومجابهة أهوال النار، والسؤال عن نعيم الدنيا.[3]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين التكاثر والقارعة

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في مناسبتها لما قبلها: "الحديث في هذه السورة، متصل بما قبلها من الحديث عن القيامة، وعما يذهل الناس عنها، ويشغلهم عن الإعداد لها.. وهو المال والتكاثر منه".[4]

---

[1] انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 54/1 . ابن عاشور، التحرير والتنوير، 517/30-518.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 241/3.

[3] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، 381/30-382.

[4] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1664/16.

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

عند اطلاعي على أقوال العديد من المفسرين، رأيت أن جميعهم اتفقوا على أن وجه المناسبة بين فاتحة سورة التكاثر وخاتمة سورة القارعة يتبين من كون فاتحة التكاثر أتت في محل العلة لخاتمة القارعة، وهذا ما عرضه الخطيب عند بداية تفسيره لسورة التكاثر ووضح أنها اتصلت بما قبلها في الحديث عن يوم القيامة وأهوالها، فهنا جاء ذكر ما شغل وصد الناس عن الاستعداد لها من التكاثر بالأموال والأولاد.

واتفق الخطيب مع الكثير من المفسرين الذين أوردوا المعنى ذاته، فمثلاً أشار الإمام الغرناطي إلى أن سورة التكاثر قد نبهت إلى من شُغل عن الاستعداد ليوم القيامة الذي جاء الحديث عنه في سورة القارعة، فقال: "لما تقدم ذكر القارعة وعظيم أهوالها أعقب بذكر ما شغل وصد عن الاستعداد لها وألهى عن ذكرها وهو التكاثر بالعدد والقربات والأهلين فقال: ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ ﴾[التكاثر: 1]".[1]

وقد أجمل الكلام السابق ما ذكره الإمام النيسابوري حين قال: "لما ذكر القارعة وأهوالها قال أَلْهاكُمُ أي شغلكم التكاثر وهو المغالبة بالكثرة أو تكلف الافتخار بها مالا وجاها عن التدبر في أمر المعاد فنسيتم القبر حتى زرّتموه".[2]

وبيّن الإمام البقاعي أن سورة التكاثر هي الزجر عما سيحصل لمصير الجاحد بالله تعالى، فكانت خاتمة سورة القارعة نتيجة للسبب المذكور في سورة التكاثر، فقال: "ولما أثبت في القارعة أمر الساعة، وقسم الناس فيها إلى شقي وسعيد، وختم بالشقي، افتتح هذه بعلة الشقاوة ومبدأ الحشر، لينزجر السامع عن هذا السبب ليكون من القسم الأول، فقال ما حاصله: انقسمتم فكان قسم منكم هالكاً؛ لأنه {ألهكم} أي: أغفلكم إلا النادر منكم غفلة عظيمة عن الموت الذي هو وحده كاف في البعث على الزهد فكيف بما بعده".[3]

[1] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص:375.
[2] النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 554/6.
[3] البقاعي، نظم الدرر، 225/22.

وقد ذكر الإمام السيوطي وجه العلة في التناسب بينهما، فقال: "أقول: هذه السورة واقعة موقع العلة لخاتمة ما قبلها؛ كأنه لما قال هناك: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة:9] قيل: لِمَ ذلك؟ فقال: لأنكم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر:1] فاشتغلتم بدنياكم عن دينكم، وملأتم موازينكم بالحطام، فخفت موازينكم بالآثام".[1]

ولم يخرج الإمام المراغي والإمام الزحيلي عما قاله السابقون، فقال المراغي: "ومناسبتها لما قبلها أن في الأولى وصف القيامة وبعض أهوالها وجزاء الأخيار والأشرار، وأن في هذه ذكر الجحيم وهي الهاوية التي ذكرت في السورة السابقة، وذكر السؤال عما قدم المرء من الأعمال في الحياة الدنيا، وهذا بعض أحوال الآخرة".[2]

وقال الزحيلي: "أخبرت سورة القارعة عن بعض أهوال القيامة، وجزاء السعداء والأشقياء، ثم ذكر في هذه السورة علة استحقاق النار وهو الانشغال بالدنيا عن الدين، واقتراف الآثام، وهددت بالمسؤولية في الآخرة عن أعمال الدنيا".[3]

فلما ذكر الله تعالى في سورة القارعة نوع الجزاء لأهل الإيمان وأهل الكفر، أتبع ذلك ذكر أهم الصفات المذمومة، وهي صفة حب الطمع فيما يملكه الإنسان.

[1] السيوطي، تناسق الدرر، ص: 167.

[2] المراغي، تفسير المراغي، 228/30.

[3] الزحيلي، التفسير المنير، 381/30.

المبحث التاسع: سورة العصر ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة العصر هي السورة الثالثة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وهي مكية في قول الجمهور وإطلاق جمهور المفسرين، وعن قتادة ومجاهد ومقاتل أنها مدنية، وقد عدت الثالثة عشرة في عداد نزول السور نزلت بعد سورة الانشراح وقبل سورة العاديات، وآياتها ثلاث آيات، وهي إحدى سور ثلاث هن أقصر السور عدد آيات: هي، والكوثر وسورة النصر.[1]

مقصدها: بيان أسباب نجاة العبد من الخسارة، وقال الإمام البقاعي في مقصد سورة العصر: "ومقصودها: تفضيل نوع الإنسان، المخلوق من علق، وبيان خلاصته وعصارته وهم الحزب الناجي يوم السؤال، عن زكاة الأعمال بترك الفاني، والإقبال على الباقي؛ لأنه خلاصة الكون، ولباب الوجود، واسمها "العصر" واضح في ذلك؛ فإن العصر يخلص روح المعصور ويميز صفاوته، ولذلك كان وقت هذا النبي الخاتم، الذي هو خلاصة الخلق صلى الله عليه وسلم وقت العصر وكانت صلاة العصر أفضل الصلوات".[2]

جاءت السورة في غاية من الإيجاز والبيان، لتوضح رسالة الحياة وسبب سعادة الإنسان أو شقاؤه، ونجاحه في هذه الحياة أو خسرانه ودماره، وقد تحدثت عن الإنسان أنه في خسران شديد إلا من اتصف بصفات أربع وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق والاعتصام بالصبر، وهي أسس الفضيلة وأساس الدين.[3]

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 527/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 246/3.

[3] انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، 575/3.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين العصر والتكاثر

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "الإنسان الذي ألهاه التكاثر بالأموال، والتفاخر بالجاه والسلطان، دون أن يتزود للآخرة بزاد الإيمان والتقوى، هو هذا الإنسان الخاسر.. وأي خسران أكثر من أنه اشترى الدنيا بالآخرة؟ وهذا ما جاءت سورة العصر لتقرره".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

اتفق المفسرون على أن وجه التناسب بين فاتحة سورة العصر وخاتمة سورة التكاثر ذم اللاهين، وما يستوجب الابتعاد عنهم، والتخلق بأخلاق أهل الإيمان والعمل الصالح، وأضاف الخطيب إلى هذا المعنى أن الذي ألهاه التكاثر هو الخاسر الذي ورد ذكره في سورة العصر.

ونرى الإمام الغرناطي أشار إلى أن التناسب يأتي من خلال ذكر المثال مع مقارنته بالحالة العامة للإنسان، فقال: "لما قال تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر:1]، وتضمن ذلك الإشارة إلى قصور نظر الإنسان وحصر إدراكه في العاجل دون الآجل الذي فيه فوزه وفلاحه، أخبر سبحانه أن ذلك شأن الإنسان في ماهيته فقال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العصر:1-2]، فالقصور شأنه، والظلم طبعه، والجهل جبلته، فيحق أن يلهيه".[2]

وأوضح الإمام أبو حيان أنه لما كرر الله تعالى الآيات في سورة التكاثر، كان ذلك التكرار مفيداً في بيان حال أهل الخسران وأهل الإيمان في سورة العصر، فقال: "لما قال فيما قبلها: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾[التكاثر:1] ، ووقع التهديد بتكرار ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [التكاثر:3] بين حال المؤمن والكافر".[3]

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1667/16.

[2] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 376.

[3] أبو حيان، البحر المحيط، 538/10.

وانفرد الإمام النيسابوري في وجه المناسبة بين فاتحة سورة العصر وخاتمة التكاثر، حيث عبّر بقوله إن سورة التكاثر أتت تبين الأشياء المذمومة، وسورة العصر أتت تبين الأشياء المحمودة والصالحة كالتواصي بالحق والصبر، فقال: "لما بين في السورة المتقدمة أن الاشتغال بأمور الدنيا والتهالك عليها مذموم، أراد أن يبين في هذه السورة ما يجب الاشتغال به من الإيمان والأعمال الصالحات وهو حظ الآدمي من جهة الكمال ومن التواصي بالخيرات وكف النفس عن المناهي، وهو حظه من حيث الإكمال، وأكد ما أراد بقوله: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾[العصر:1]".[1]

وإلى هذا المعنى سار الإمام البقاعي، فذكر: "لما كانت لذة هذه الدنيا الظاهرة التنعم بما فيها من المتاع، وكان الإنسان مسؤولا بما شهد به، ختم التكاثر عن ذلك النعيم متوعدا برؤية الجحيم، فكان ساكن هذه الدار على غاية الخطر، فكان نعيمه في غاية الكدر".[2]

وأشار الإمام السيوطي إلى ملمح جيد في التناسب بين السورتين، فقال: "ولهذا عقَّبها–أي التكاثر–بسورة والعصر، المشتملة على أن الإنسان في خسر، بيان لخسارة تجارة الدنيا، وربح تجارة الآخرة".[3]

وبهذا السياق قال الإمام الألوسي: "وفيها إشارة إلى حال من لم يلهه التكاثر، ولذا وضعت بعد سورته".[4]

كما أوضح الشيخ الفراهي المناسبة من خلال إبراز حال أهل النعم في السورة الأولى، واندفاعهم إلى الدنيا وفناء أعمارهم فيها، وبين بيان خسران هؤلاء في سورة العصر، فقال: "مر في السورة السابقة أن أهل النعم منهمكون في طلب المال، فأفنوا فيه أعمارهم، وهذا هو الخسران العظيم، وهو ذكر أهل النعيم المستهزئين بالرسل وآيات اللّٰه ولقائه، وفي أول سورة "والعصر " بيَّن خسران هؤلاء واضحًا، ثم بيَّن طريق الفلاح واقتناء

[1] النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 558/6.
[2] البقاعي، نظم الدرر، 236/22.
[3] السيوطي، تناسق الدرر، ص: 167.
[4] الألوسي، روح المعاني، 457/15.

الفوز العظيم والحظ الكامل من هذا العمر المستودع، لكي يتنافسوا فيما هو أحق به، وينتبهوا عن نوم اللهو والغفلة قبل الفوت والحسرة".[1]

وإلى هذا المعنى ذهب الشيخ المراغي، فذكر: "ومناسبتها لما قبلها أنه ذكر في السورة السابقة أنهم اشتغلوا بالتفاخر والتكاثر وبكل ما من شأنه أن يلهى عن طاعة الله، وذكر هنا أن طبيعة الإنسان داعية له إلى البوار، وموقعة له في الدمار إلا من عصم الله وأزال عنه شرر نفسه، فكأن هذا تعليل لما سلف– إلى أنه ذكر في السالفة صفة من اتبع نفسه وهواه، وجرى مع شيطانه حتى وقع في التهلكة، وهنا ذكر من تجمل بأجمل الطباع، فآمن بالله وعمل الصالحات، وتواصى مع إخوانه على الاستمساك بعرى الحق، والاصطبار على مكارهه".[2]

وأضاف الشيخ الزحيلي في وجه المناسبة إلى وجوب الاشتغال بالأعمال الصالحة كما ظهر ذلك في سورة العصر، وذلك بعد التحذير والوعيد الحاصلين في سورة التكاثر، فقال: "لما بين في السورة المتقدمة أن الاشتغال بأمور الدنيا والتهالك عليها مذموم، أراد أن يبين في هذه السورة ما يجب الاشتغال به من الإيمان والأعمال الصالحات، وهو ما يعود إلى النفس، ومن التواصي بالخيرات وكف النفس عن المناهي أو المعاصي، وهو ما يعود إلى المجتمع. والخلاصة: بعد أن قال: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١﴾[التكاثر:1]، وهدد بتكرار: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣﴾[التكاثر:3] بين حال المؤمن والكافر".[3]

فكلما كان التكاثر في المال والتفاخر فيه خسارة في الدنيا، أتت سورة العصر موضحة معنى الخسارة في الدنيا ومعنى الربح في الآخرة.

[1] انظر: الفراهي، نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص: 384.

[2] المراغي، تفسير المراغي، 233/30.

[3] الزحيلي، التفسير المنير، 390/30.

المبحث العاشر: سورة الهمزة ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة الهمزة هي السورة الرابعة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة بسورة الهمزة وسورة (ويل لكل همزة)، وهي مكية بالاتفاق، وعدت الثانية والثلاثين في عداد نزول السور نزلت بعد سورة القيامة وقبل سورة المرسلات، وآياتها تسع بالاتفاق.[1]

مقصدها: بيان حال المكذب بالله تعالى، قال الإمام البقاعي: "ومقصودها: بيان الحزب الأكثر الخاسر، الذي ألهاه التكاثر، فبانت خسارته يوم القيامة، الخافضة، الرافعة، واسمها "الهمزة" ظاهر الدلالة على ذلك".[2]

وذكر الإمام ابن عاشور أن من أغراضها "وعيد جماعة من المشركين جعلوا همز المسلمين ولمزهم ضربا من ضروب أذاهم طمعا في أن يلجئهم الملل من أصناف الأذى، إلى الانصراف عن الإسلام والرجوع إلى الشرك".[3]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الهمزة والعصر

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في مناسبتها لما قبلها أنه "في سورة العصر أقسم الحق جل وعلا بالعصر على أن الإنسان في خسر، مستثنيا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، وفي هذه السورة (سورة الهمزة) عرض للإنسان الخاسر، ومن أين كان خسرانه، وإلى أين يكون مصيره".[4]

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 535/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 247/3.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 536/30.

[4] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1670/16.

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

بعد استقرائي لأقوال عدد من المفسرين، وجدتهم قد اتفقوا على أن وجه التناسب بين سورتي العصر والهمزة، مرتبط بكون سورة الهمزة أتت لبيان بعض صفات أهل الخسران المذكورين في سورة العصر.

وهذا ما أورده الخطيب ولم يضف عليه شيئاً، وكذلك الإمام الغرناطي فقد بيّن أن وجه المناسبة هو ذكر سورة الهمزة لمثال خسران الإنسان في سورة العصر، فقال: "لما قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العصر:2]، أتبعه بمثال من ذكر نقصه وقصوره واغتراره وظنه الكمال لنفسه حتى يعيب غيره، واعتماده على ما جمعه من المال ظنا أنه يخلده وينجيه، وهذا كله عين النقص الذي هو شأن الإنسان وهو المذكور في السورة قبل فقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة:1] فافتتحت السورة بذكر ما أعد له من العذاب جزاء له على همزه ولمزه الذي أتم حسده".[1]

وتبعه الإمام أبو حيان في هذا القول، فذكر: "لما قال فيما قبلها:﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العصر:2]، بين حال الخاسر".[2]

ثم حدد الإمام النيسابوري وجه مناسبة سورة الهمزة بكونها أتت بمثال واحد عن خسارة الإنسان في سورة العصر، فقال: "لما ذكر حكم جنس الإنسان في خسرهم عقبه بمثال واحد".[3]

وعند الإمام البقاعي قد أتت سورة الهمزة تسلية للصابرين وتشوفاً لهلاك المكذبين الخاسرين، فقال: "لما بين الناجين من قسمي الإنسان في العصر، وختم بالصبر، حصل تمام التشوف إلى أوصاف الهالكين، فقال مبينا لأضلهم وأشقاهم الذي الصبر على أذاه في غاية الشدة ليكون ما أعد له من العذاب مسلاة للصابر: ﴿وَيۡلٞ﴾ أي هلاك عظيم جدا".[4]ولعله أضاف معنى لم يضفه الأئمة السابقون في وجه التناسب.

---

[1] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 376.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، 540/10.

[3] النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 561/6.

[4] البقاعي، نظم الدرر، 243/22.

ولكن الإمام الألوسي أوضح أن سورة الهمزة تحدثت عن أصناف عدة مجموعة تحت صفة الخسران للإنسان، فقال: "لما ذكر سبحانه فيما قبلها أن الإنسان سوى من استثنى في خسر بيّن عز وجل فيها أحوال بعض الخاسرين".[1]

وكذلك الشيخ المراغي لم يحدد بمثال واحد، وإنما بيّن أن الله تعالى ذكر بعض صفات أهل الضلال، فقال: "ومناسبتها لما قبلها –أنه لما ذكر سبحانه في السورة السابقة أن جميع أفراد الإنسان منغمسون في الضلال إلا من عصم الله– ذكر هنا بعض صفات أهل الضلال".[2]

وبيّن الشيخ حوى والشيخ الزحيلي المناسبة من خلال إيراد الله تعالى لجنس الخاسرين من البشر في سورة العصر، في مقابل تحديد صفات وأحوال الخاسرين في سورة الهمزة، فقال الشيخ سعيد حوى: "رأينا أن سورة العصر ذكرت أن جنس الإنسان في خسر إلا من اتصف بصفات معينة، وتأتي سورة الهمزة لتحدد صفات الخاسرين ومظهر خسارهم، فللسورة صلتها بما قبلها، وهكذا نجد أن للسورة سياقها الخاص وصلتها بمحورها وصلتها بما قبلها".[3]

وقال الشيخ الزحيلي: "بعد أن ذكر الله تعالى في السورة المتقدمة أن جنس الإنسان في خسران ونقص وهلكة، أبان في هذه السورة حال الخاسر وأراد به تبيان الخسران بمثال واحد".[4]

---

[1] الألوسي، روح المعاني، 460/15.

[2] المراغي، تفسير المراغي، 236/30.

[3] سعيد حوى، الأساس في التفسير، 6675/11.

[4] الزحيلي، التفسير المنير، 396/30.

المبحث الحادي عشر: سورة الفيل ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة الفيل هي السورة الخامسة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وردت تسميتها في كلام بعض السلف سورة (ألم تر)، وسميت في جميع المصاحف وكتب التفسير: سورة الفيل، وهي مكية بالاتفاق، وقد عدت التاسعة عشرة في ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة الكافرون وقبل سورة الفلق، وآياتها خمس.[1]

وأما مقصدها فهو الاعتبار بحال من آذى بيت الله، "وقد تضمنت التذكير بأن الكعبة حرم الله وأن الله حماه ممن أرادوا به سوءا أو أظهر غضبه عليهم فعذبهم لأنهم ظلموا بطمعهم في هدم مسجد إبراهيم وهو عندهم في كتابهم، وذلك ما سماه الله كيدا، وليكون ما حل بهم تذكرة لقريش بأن فاعل ذلك هو رب ذلك البيت وأن لا حظ فيه للأصنام التي نصبوها حوله وتنبيه قريش أو تذكيرهم بما ظهر من كرامة النبيء صلى الله عليه وسلم عند الله إذ أهلك أصحاب الفيل في عام ولادته. ومن وراء ذلك تثبيت النبيء صلى الله عليه وسلم بأن الله يدفع عنه كيد المشركين فإن الذي دفع كيد من يكيد لبيته لأحق بأن يدفع كيد من يكيد لرسوله صلى الله عليه وسلم ودينه ويشعر بهذا قوله: ألم يجعل كيدهم في تضليل، ومن وراء ذلك كله التذكير بأن الله غالب على أمره، وألا تغر المشركين قوتهم ووفرة عددهم ولا يوهن النبيء صلى الله عليه وسلم تألب قبائلهم عليه فقد أهلك الله من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعا".[2]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الفيل والهمزة

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "في سورة الهمزة عرض لمن جمع المال، واتخذ منه سلاحا يغمز به الناس، ويهمزهم، ويمزق أديمهم، ويزبل وجودهم الإنساني بين الناس.. وسورة الفيل تعرض لجماعة من تلك الجماعات، التي اجتمع

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 543/30.

[2] المرجع السابق، 544/30.

لديها قوة من تلك القوى المخيفة، هي الفيل، الذي يشبه قوة المال في طغيانه، حين يجتمع إنسان جهول غشوم، طاغية، فيتسلط على الناس، كما يتسلط صاحب الفيل على صاحب الحمار، أو الحصان، مثلا.. فكان عاقبة صاحب هذا الفيل الهلاك والدمار، كما كان عاقبة صاحب هذا المال، الذل والخزي، والخسران".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

يتفق غالب المفسرين على أن وجه المناسبة بين فاتحة سورة الفيل وما قبلها يتحقق من خلال إنفاذ الله تعالى لوعده، وعدم اغترار الأقوام بأموالهم وجاههم، بعضهم اختصر وأوجز وبعضهم فصّل واسترسل، والخطيب لم يخرج ولم يزد عما قاله المفسرون من قبله، فربط الإمام الغرناطي بين السورتين من خلال صفة الاغترار، فقال: "لما تضمنت سورة الهمزة ذكر اغترار من فتن بماله حتى ظن أنه يخلده، وما أعقبه ذلك أتبع هذا بأصحاب الفيل الذين غرهم تكاثرهم وخدعهم امتدادهم في البلاد واستيلاؤهم حتى هموا بهدم البيت المكرم فتعجلوا النقمة وجعل الله كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل".[2]

وقارن الإمام أبو حيان نوعية العذاب بين السورتين، فقال: "ولما ذكر فيما قبلها عذاب الكفار في الآخرة، أخبر هنا بعذاب ناس منهم في الدنيا".[3] فسورة الهمزة بينت العذاب الأخروي، وبينت سورة الفيل العذاب الدنيوي.

وأشار الإمام السيوطي إلى اقتران حال أصحاب الهمزة بأصحاب الفيل وهم أشد جاهاً ومالاً، فلم يغنهم ذلك عن عذاب الله تعالى، فقال: "ظهر لي في وجه اتصالها بعد الفكرة: أنه تعالى لما ذكر حال الهمزة اللمزة، الذي جمع مالًا وعدَّده، وتعزز بماله وتقوَّى، عقَّب ذلك بذكر قصة أصحاب الفيل، الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالًا وعتوًّا، وقد جعل كيدهم في تضليل، وأهلكهم بأصغر الطير وأضعفه، وجعلهم كعصف مأكول، ولم يغنِ عنهم مالُهم ولا عددُهم ولا شوكتُهم ولا فِيلُهُمْ شيئًا".[4]

---

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1675/16.

[2] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص:377.

[3] أبو حيان، البحر المحيط، 543/10.

[4] السيوطي، تناسق الدرر، ص: 167.

وبيّن الإمام الشعراوي المناسبة بين السورتين من خلال إثبات الله تعالى لإقامة الجزاء على المكذبين في الدنيا، فقال: أخبرنا اللّٰه تعالى في خاتمة سورة الهمزة بالوعيد لذلك الهمزة اللمزة، يُعلِمُه ما سيحدث له يوم القيامة، فكأنَّ الحق سبحانه أراد أن يدلل على صدق نفاذ ذلك الوعيد، فأجرى في دنيانا على الكافرين بعض الأمور المحسوسة؛ لينتقل من الغيب إلى الحس، فيصدق أنَّ الذي أجرى ذلك في المحسّ، قادرٌ على أن يجري ذلك فيما يغيب عنا.[1]

من خلال ما تقدم من أقوال المفسرين يتبين أن الله تعالى لما ذكر حال المغتاب والهمّاز وبين جزاؤه، أشار إلى حادثة الفيل وكيف كان جزاؤهم بأن اهلكهم الله، فتلك من قبيل الجزاء الأخروي، وهذه من قبيل الجزاء الدنيوي.

[1] انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص: 15929.

المبحث الثاني عشر: سورة قريش ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة قريش هي السورة السادسة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة (سورة لإيلاف قريش)، وسميت في المصاحف وكتب التفسير (سورة قريش)؛ لوقوع اسم قريش فيها، والسورة مكية عند جماهير العلماء، وفي القرطبي عن الكلبي والضحاك أنها مدنية، وقد عدت التاسعة والعشرين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة التين وقبل سورة القارعة، وعدد آياتها أربع عند جمهور العادين. وعدها أهل مكة والمدينة خمس آيات.[1]

مقصدها: إرشاد العباد لشكر المنعم، قال الإمام البقاعي: "ومقصدها: أن إهلاك الجاحدين المعاندين، لإصلاح المقرين العابدين، وهو بشارة عظيمة لقريش خاصة، بإظهار شرفهم في الدارين، واسمها "قريش" ظاهر الدلالة على ذلك، والتعبير بقريش دون قومك والحمس مثلا، دال على أنهم يغلبون كما يدل عليه الاسم، وبغير قوة كما دل ما فعل لأجلهم من قصة الفيل".[2]

تحدثت هذه السورة عن نعم الله تعالى الجليلة على قريش أهل مكة، حيث جمع الله كلمتهم، وحقق الألفة، والتئام الشمل بينهم، ومكنهم من التنقل وحرية التجارة، كما أكرم الله تعالى قريشاً بنعمة الأمن والاطمئنان في البلد الآمن الحرام دون نزاع من أحد، وهنا تتجلى نعمتان عظيمتان من نعمه الكثيرة هما: نعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى واليسار.[3]

---

[1] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 200/20. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 553/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 250/3-251.

[3] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ص: 365.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين قريش والفيل

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في مناسبتها لما قبلها: "أشارت سورة الفيل إلى هذه المنة العظيمة التي امتن بها الله سبحانه وتعالى على قريش إذ دفع عن بلدهم الحرام، وعن بيته الحرام هذا المكروه، ورد عنهم هذا البلاء، وأخذ المعتدى على حرمة هذا البيت أخذ عزيز مقتدر.. وبهذا وجدت قريش في هذا البلد أمنها، ووجدت في جوار البيت الحرام حماها، وصار لها في قلوب العرب مكانة عالية، وقدر عظيم، لا يستطيع أحد أن يحدث نفسه بسوء ينال به أحدا من أهل هذا البلد الحرام، وقد رأى ما صنع الله بمن أراد به أو بأهله سوءا.. وجاءت سورة قريش بعد هذا، وكأنها تعقيب على حادثة الفيل، ونتيجة لازمة من نتائج هذه الحادثة.. ولهذا وصل كثير من العلماء هذه السورة بسورة الفيل، وجعل اللام في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾ [قريش:1] لام تعليل، متعلقا بقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥ ﴾ [الفيل:5].

أي جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش.. كما سنرى ذلك بعد".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

من خلال استقرائي لأقوال عدد من المفسرين وجدت أنهم متفقون على أن وجه مناسبة فاتحة سورة قريش مع خاتمة سورة الفيل واضح من خلال إشارة الله تعالى لأهل قريش بالنعم التي أسبغ عليهم، فالأولى تضمنت إهلاك عدوهم، والثانية ذكرت اجتماع أمرهم والتئام شملهم، إضافة إلى الاتصال المتعلق بالجار والمجرور بينهما كما ذكر الخطيب في بيانه للمناسبة، وذكره غيره من المفسرين كالزمخشري الذي قال: "هو متعلق بما قبله، أي: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، وهذا بمنزلة التضمين في الشعر: وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به".[2]

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1680/16.

[2] الزمخشري، الكشاف، 801/4.

وفصّل الشيخ المراغي في هذه المناسبة إلى نعمتين، الأولى: إهلاك العدو، والثانية: اجتماع أمر قريش، فقال: "ومناسبتها لما قبلها– أن كلا منهما تضمن ذكر نعمة من نعم الله على أهل مكة فالأولى تضمنت إهلاك عدوهم الذي جاء ليهدم بيتهم وهو أساس مجدهم وعزهم والثانية ذكرت نعمة أخرى هي اجتماع أمرهم، والتئام شملهم، ليتمكنوا من الارتحال صيفاً وشتاءً في تجارتهم، وجلب الميرة لهم".[1]

وقد بيّن الإمام الزحيلي أن سورة قريش ترتبط بما قبلها من وجهين، الأول: أن كلتا السورتين تذكير بنعم الله على أهل مكة، فسورة الفيل تشتمل على إهلاك عدوهم الذي جاء لهدم البيت الحرام أساس مجدهم وعزهم، وهذه السورة تذكر نعمة أخرى اجتماعية واقتصادية، حيث حقق الله بينهم الألفة واجتماع الكلمة، وأكرمهم بنعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى واليسار والإمساك بزمام الاقتصاد التجاري في الحجاز، بالقيام برحلتين صيفا إلى الشام، وشتاء إلى اليمن. والثاني أن هذه السورة شديدة الاتصال بما قبلها، لتعلق الجار والمجرور في أولها بآخر السورة المتقدمة: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾. أي: لإلف قريش أي أهلك الله أصحاب الفيل، لتبقى قريش.[2]

من خلال ما تقدم يتبين أنه لمّا ذكر الله عز وجل نعمته على قريش بأن حماهم من أذى أبرهة وأصحابه، نبههم في سورة الفيل إلى أنّ هذه نعمة تستوجب الشكر والعبادة لله.

[1] المراغي، تفسير المراغي، 244/30.

[2] انظر: الزحيلي، التفسير المنير، 412/30.

المبحث الثالث عشر: سورة الماعون ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة الماعون هي السورة السابعة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة في كثير من المصاحف وكتب التفسير (سورة الماعون) لورود لفظ الماعون فيها دون غيرها، وسميت في بعض التفاسير (سورة أرأيت)، وهي مكية في قول الجمهور، وروي عن ابن عباس، وقال القرطبي عن قتادة: هي مدنية، وعدت السابعة عشرة في عداد نزول السور بناء على أنها مكية، نزلت بعد سورة التكاثر وقبل سورة الكافرون، وآياتها سبع في الكوفي والبصري، وست عند الباقين.[1]

مقصدها: بيان صفات المكذبين بالدين، قال الإمام البقاعي: "ومقصودها: التنبيه على أن التكذيب بالبعث لأجل الجزاء أبو الخبائث، فإنه يجزي المكذب على مساوئ الأخلاق، حتى تكون الاستهانة بالعظائم خلقا له، فيصير ممن ليس له خلاق، وكل من أسمائها في غاية الوضوح في الدلالة على ذلك، بتأمل السورة، لتعرف هذه الأشياء المذكورة".[2]

"ومن مقاصدها التعجيب من حال من كذبوا بالبعث وتفظيع أعمالهم من الاعتداء على الضعيف، واحتقاره، والإمساك عن إطعام المسكين، والإعراض عن قواعد الإسلام من الصلاة والزكاة؛ لأنه لا يخطر بباله أن يكون في فعله ذلك ما يجلب له غضب الله وعقابه".[3]

---

[1] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 210/20.البقاعي، مصاعد النظر، 253/3. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 563/30.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 253/3.

[3] بن عاشور، التحرير والتنوير، 564/30.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الماعون وقريش

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "جاء في سورة قريش تنويه عظيم بشأن الشبع من الجوع، والأمن من الخوف، حيث لا حياة بغير طعام، ولا طعم لحياة بغير أمن! وجاءت سورة «الماعون» لتضرب- والحديد ساخن- كما يقولون- على أوتار هذه القلوب الجافية، ولتهز تلك المشاعر الجامدة، التي عرفت طعم الشبع بعد الجوع، وذاقت هناءة الأمن بعد الخوف، حتى تند بالمعروف، وتسخو بالخير، قبل أن تنسى لذعة الجوع، ورعدة الخوف".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

من خلال قراءتي لأقوال المفسرين وجدتهم متفقين على أن وجه مناسبة سورة الماعون لما قبلها متضح من خلال ترهيب أتى بعد ترغيب، فالله تعالى عندما بيّن نعمه على قريش وما أنعم عليهم من طعام وأمان، أشار بعدها إلى من يغفل عن هذه النعم، ولا يؤدي شكرها، وهو ما قاله الخطيب، واتفق فيه مع غيره من المفسرين.

وأشار الإمام أبو حيان إلى أن وجه التناسب بين السورتين مقترن بالتهديد بعد الامتنان، وبالترهيب بعد الترغيب، إذ أنه تعالى لما فصّل نعمه على قريش، حذرهم من الاغترار وذكرهم بالجزاء، فقال: "ولما عدد تعالى نعمه على قريش، وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء، أتبع امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء، وتخويفهم من عذابه".[2]

وربط الإمام البقاعي بين السورتين من خلال تذكير الله تعالى لأهل قريش بالنعم بدءاً من حمايتهم إلى منتهى الأمان لديهم، فقال: "لما أخبر سبحانه وتعالى عن فعله معهم من الانتقام ممن تعدى حدوده فيهم، ومن الرفق بهم بما هو غاية في الحكمة، عرفهم أول هذه أنّ ذلك لا يتهيأ إلا بالتصديق بالجزاء الحامل

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1683/16.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، 552/10.

على معالي الأخلاق الناهي عن مساوئها".[1] قال الألوسي: "لما ذكر سبحانه في سورة قريش ﴿أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾ [قريش: 4]، ذم عز وجل هنا من لم يحض على طعام المسكين، ولما قال تعالى هناك: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ [قريش: 3] ذم سبحانه هنا من سها عن صلاته أو لما عدد نعمة تعالى على قريش وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء أتبع سبحانه امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه".[2]

وقال المراغي: "ووجه مناسبتها لما قبلها: أنه لما قال في السورة السابقة: ﴿أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾ [قريش: 4]، ذم في هذه من لم يحضّ على طعام المسكين. وأنه قال في السورة السابقة: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ [قريش: 3]، وهنا ذم من سها عن صلاته. وأنه هناك عدّد نعمه على قريش وهم مع ذلك ينكرون البعث ويجحدون الجزاء وهنا أتبعه بتهديدهم وتخويفهم من عذابه".[3] وقال الشيخ الغماري ووافق من قبله ببيانه للمناسبة، وقال: "وجه مناسبتها لما قبلها: أن اللّٰه تعالى امتنَّ على قريش بأنه أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، وأمرهم أن يعبدوه شكرًا على ذلك، فذمهم هنا بأنهم يكذبون بالدين، ويدفعون اليتيم دفعًا عنيفًا، ولا يبذلون الطعام للمسكين الجائع، وهو ضد ما أمرهم الله، بل ضد ما يقتضيه شكر نعمة الإطعام والأمن".[4]

وذكر الزحيلي ما ذكره الألوسي والمراغي ولم يزد عليه، وهي كلها داخلة ضمن جانب التذكير بالنعم الربانية مقابل التهديد والوعيد بمن لم يعطها حقها.

فبذلك ناسبت خاتمة سورة قريش فاتحة سورة الماعون جزاء ترك عبادة الحق سبحانه، فلما كان إطعام أهل قريش من جوع وتأمنيهم من خوف، أشار إلى من ينكر ويجحد فلا هو أطعم جائع بعد أن منّ الله عليه بالطعام والشراب ولا حث ورغّب بإطعام المحتاجين.

---

[1] البقاعي، نظم الدرر، 22/275-276.

[2] الألوسي، روح المعاني، 15/474.

[3] المراغي، تفسير المراغي، 30/247.

[4] الغماري، جواهر القرآن، ص: 156.

المبحث الرابع عشر: سورة الكوثر ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة الكوثر هي السورة الثامنة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة بسورة الكوثر، وسورة إنا أعطيناك الكوثر، وسمّاها البعض سورة النحر، وقد تعارضت الأقوال والآثار في أنها مكية أو مدنية تعارضاً شديداً، فهي مكية عند الجمهور، وعن الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمة: هي مدنية، وعلى القول بأنها مكية عدوها الخامسة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة العاديات وقبل سورة التكاثر. وعلى القول بأنها مدنية فقد قيل: إنها نزلت في الحديبية، وعدد آياتها ثلاث بالاتفاق، وهي أقصر سور القرآن عدد كلمات وعدد حروف، وأما في عدد الآيات فسورة العصر وسورة النصر مثلها، ولكن كلماتهما أكثر.[1]

مقصدها: "بيان منة الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بالخير الكثير، والدفاع عنه"[2] ، وقال الإمام البقاعي في مقصد سورة الكوثر: "ومقصدها: المنحة للمنزل عليه صلى الله عليه وسلم بكل خير يمكن أن يكون، واسمها "الكوثر" واضح في ذلك. وكذا النحر؛ لأنه معروف في نحر الإبل، وذلك غاية الكرم عند العرب".[3]

"واشتملت السورة على بشارة النبيء صلى الله عليه وسلم بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وأمره بأن يشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة، وأن ذلك هو الكمال الحقّ لا ما يتطاول به المشركون على المسلمين بالثروة والنعمة وهم مغضوب عليهم من الله تعالى؛ لأنهم أبغضوا رسوله، وغضب الله بتر لهم إذا كانوا بمحل السخط من الله، وإن انقطاع الولد الذكر ليس بترا؛ لأن ذلك لا أثر له في كمال الإنسان".[4]

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/571-572.

[2] فايز السريح، معالم السور، ص:537.

[3] البقاعي، مصاعد النظر، 3/256.

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/572.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الكوثر والماعون

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في بيان وجه التناسب بين السورتين: "في سورة الماعون، توعد الله الذين لا يقيمون الصلاة، ولا يؤدون الزكاة؛ لأنهم مكذبون بالدين، غير مؤمنين بالبعث والحساب والجزاء، توعد الله سبحانه هؤلاء بالويل والهلاك، والعذاب الشديد في نار جهنم.. وفى مقابل هذا، جاءت سورة الكوثر تزف إلى سيد المؤمنين بالله واليوم الآخر هذا العطاء الجزيل، وذلك الفضل الكبير من ربه.. ومن هذا العطاء، وذلك الفضل، ينال كل مؤمن ومؤمنة نصيبه من فضل الله وعطائه على قدر ما عمل".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

بعد استقرائي لأقوال العديد من المفسرين وجدت أن هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة، فلمّا ذمّ الله عز وجل الكفار على تكذبيهم وبخلهم أخبر هنا بالكرم الذي أكرمه لنبيه صلى الله عليه وسلم، وأمره بالصلاة والنحر على عكس ما وصف الكفار بالسورة السابقة، فالمناسبة متحققة في ذكر العطاء الرباني لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد بيان جزاء من كذّب ومنع الخير عن غيره.

وهذا المعنى أورده الخطيب في بيانه للمناسبة بين السورتين وزاد عليه غيره، وفصّل بعضهم في بيان وجه التناسب، فنرى الإمام الرازي قد وجه المناسبة بين السورتين إلى معنى فريد جيد، إذ وضّح المقابلة بين سورة الماعون وسورة الكوثر بإشارات لطيفة وسديدة، فقال: "هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة، وذلك لأن في السورة المتقدمة وصف الله تعالى المنافق بأمور أربعة: أولها: البخل، والثاني: ترك الصلاة، والثالث: المراءاة في الصلاة، والرابع: المنع من الزكاة، فذكر في هذه السورة في مقابلة تلك الصفات الأربع صفات أربعة، فذكر في مقابلة البخل قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[سورة الكوثر:1] أي إنا أعطيناك الكثير، فأعط

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1689/16.

أنت الكثير ولا تبخل، وذكر في مقابلة: قَالَتَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ [الماعون:5]

قوله: (فصلّ) أي: دم على الصلاة، وذكر في مقابلة: (الذين هم يراؤون) قوله: لربك أي ائت بالصلاة لرضا ربك، لا لمراءاة الناس، وذكر في مقابلة: (ويمنعون الماعون) قوله: وانحر وأراد به التصدق بلحم الأضاحي، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة، ثم ختم السورة بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر:3]، أبتر أي المنافق الذي يأتي بتلك الأفعال القبيحة المذكورة في تلك السورة سيموت ولا يبقى من دنياه أثر ولا خبر، وأما أنت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل، وفي الآخرة الثواب الجزيل.[1]

وإلى هذا المعنى ذهب الإمام أبو حيان، فقال: "ولما ذكر فيما قبلها وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة، قابل في هذه السورة البخل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ [الكوثر:1]، والسهو في الصلاة بقوله: (فصل)، والرياء بقوله: لربك، ومنع الزكاة بقوله: وانحر، أراد به التصدق بلحم الأضاحي، فقابل أربعاً بأربع".[2]

وألمح الإمام النيسابوري أن في السورتين مثالين لفريق الكفر وفريق الإيمان، فقال: "هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة؛ لأن تلك مثال لكون الإنسان في خسر، وهذه للمستثنين منهم، بل لأشرفهم وأفضلهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم، بل له ولشأنيه، فكأنها مثال للفريقين جميعا".[3]

وفي هذا المعنى أشار الإمام البقاعي أن سورة الماعون أوضحت حال أبخل البخلاء، وسورة الكوثر أوضحت حال أكرم الكرماء وما أعطاه الله من خير وفير، فقال: "لمّا كانت سورة الدين بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق، كانت بإفهامها داعية إلى معالي الشيم، فجاءت الكوثر لذلك، وكانت الدين قد ختمت بأبخل

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، 307/32.
[2] أبو حيان، البحر المحيط، 555/10.
[3] النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 575/6.

البخلاء وأدنى الخلائق تنفيراً من البخل ومما جره من التكذيب، فابتدأت الكوثر بأجود الجود لأشرف الخلائق ترغيباً فيه وندباً إليه، فكان كأنه قيل: أنت يا خير الخلق غير متلبس بشيء مما نهت عنه تلك المختتمة بمنع الماعون".[1]

وبيّن الشيخ الفراهي أن موقع سورة الكوثر بالتي قبلها كموقع ذكر النعمة بعد النقمة، والعطاء بعد السلب، فقال: نزلت السورة السابقة في ذكر الذين كبرت خيانتهم في ولاية الكعبة، لما أنهم أفسدوا الحج ومناسكها، وأبطلوا حقيقة الصلاة والنحر بإبطال التوحيد والمواساة بالمسكين، فباءوا بالويل واللعنة، وحق لهم أن يسلبهم اللّٰه هذا الخير ويعطيه من استحقه حسب سنته، وبسورة الكوثر بشر اللّٰه تعالى نبيه بأنه اصطفاه وأمته لولاية بيته المحرم، ومسكن خليله، وذريته، ولا شك أن هذا العطاء هو الفوز الأكبر والخير الكوثر، وهو الضمان لحوض الكوثر الذي يعطيه اللّٰه تعالى في الآخرة، فموضع هذه السورة بالتي قبلها كموقع ذكر النعمة بعد النقمة، والعطاء بعد السلب، والمستخلفين بعد المهلكين، وذلك أسلوب عام في القرآن.[2]

ومن هذا نرى أن الله عز وجل لمّا ذكر عاقبة التاركين لصلاتهم، والمرائين في أفعالهم، المانعين لحق الله في أموالهم، أشار تعالى بعدها في سورة الكوثر إلى الكرم الإلهي والخير الكثير للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته المتبعين له المصلين المتصدقين، فكانت المناسبة من باب مقابلة المعاني بعضها ببعض، ولم يخرج الخطيب عن هذا المعنى والتوجيه.

[1] البقاعي، نظم الدرر، 287/22.

[2] انظر: الفراهي، نظام القرآن، ص: 483.

المبحث الخامس عشر: سورة الكافرون ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة الكافرون هي السورة التاسعة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وهي مكية بالاتفاق في حكاية ابن عطية وابن كثير، وروي عن ابن الزبير أنها مدنية، وقد عدت الثامنة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الماعون وقبل سورة الفيل، وعدد آياتها ست.[1]

مقصدها: البراءة من الكفر وأهله، وإعلان المبدأ الإسلامي في حرية اختيار المعتقد لدى البشر، قال الإمام البقاعي: "ومقصودها: إثبات مقصود الكوثر، على أن منزلها كامل العلم، شامل القدرة، لأنه المنفرد بالوحدانية. فلذلك لا يقوي من كان معه، ولذلك لما نزلت قرأها صلى الله عليه وسلم عليهم في المسجد، أجمع ما كانوا وهذا المراد بكل من أسمائها".[2]

ومن مقاصد سورة الكافرون "تقرير التوحيد، والبراءة من الشرك والكفر والضلال ومن أعمال المشركين، والإخلاص في العمل لله تبارك وتعالى".[3]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الكافرون والكوثر

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في مناسبتها لما قبلها: "الكوثر الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى النبي كان في مقابله البتر والحرمان من كل خير لمن يشنأ هذا النبي، الذي وضع الله سبحانه وتعالى الخير كله في يده.. وهذا مجمل ما تحدثت عنه سورة الكوثر، وفي سورة الكافرون التي تأتي بعد هذه السورة، موقف بين النبي –صلوات الله وسلامه عليه– وما أعطاه الله سبحانه من خير كثير، يفيض من النبع الأعظم، وهو الإيمان بالله –وبين

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/579–580.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 3/260.

[3] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ص: 405.

المشركين الذين عزلوا أنفسهم عن هذا الخير، وحرموا أن ينالوا شيئا منه.. وفي هذا الموقف يعلن النبي عن هذا الخير الذي من الله به عليه، وأنه ممسك به، مقيم عليه، لا يصرفه عنه شيء من هذه الدنيا.. فهو لا يعبد غير الله سبحانه وتعالى، ولا يتحول عن عبادته أبدا، ولا ينظر إلى شيء وراءه من مال وبنين".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

إن وجه الربط والمناسبة بين سورة الكوثر وسورة الكافرون عائد إلى بيان حقيقة التوحيد والإشارة إلى إخلاص العبادة لله وحده.

وهذا ما ألمح إليه الخطيب في بيانه للمناسبة بين السورتين، ولعل غيره كان أكثر ايضاحاً وأدق في ربط المعنى كالسيوطي والألوسي والمراغي، فقد ربطوا بين سورة الكوثر وما بعدها من خلال التوجه لعبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما يعبد أهل الباطل، والتقرب والإنابة إلى الله تعالى، فقال السيوطي: "وجه اتصالها بما قبلها: أنه تعالى لمّا قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ ۝٢﴾ [الكوثر:2] أمره أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد إلا ربه، ولا يعبد ما يعبدون، وبالغ في ذلك فكرر، وانفصل منهم على أن لهم دينهم وله دينه".[2]

وقال الألوسي: "وفيها إعلان ما فهم مما قبلها من الأمر بإخلاص العبادة له عز وجل ويكفي ذلك في المناسبة بينهما".[3]

وقال المراغي: "ومناسبتها لما قبلها– أنه في السورة السابقة أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بعبادته، والشكر له على نعمه الكثيرة، بإخلاص العبادة له، وفى هذه السورة التصريح بما أشير إليه فيما سلف".[4]

بينما انفرد الإمام الرازي في وجه التناسب الذي ذكره، فقال: "... وكأنه تعالى قال: حين ذكروك بسوء، فأنا كنت المجيب بنفسي، فحين ذكروني بالسوء وأثبتوا لي الشركاء، فكن أنت المجيب: قل يا أيها الكافرون، لا

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1694/16.
[2] السيوطي، تناسق الدرر، ص:169.
[3] الألوسي، روح المعاني، 484/15.
[4] المراغي، تفسير المراغي، 254/30.

أعبد ما تعبدون وثامنها: أنهم سموك أبتر، فإن شئت أن تستوفي منهم القصاص، فاذكرهم بوصف ذم بحيث تكون صادقاً فيه: قل يا أيها الكافرون، لكن الفرق أنهم عابوك بما ليس من فعلك وأنت تعيبهم بما هو فعلهم".[1] فالله تعالى رد على المشركين بغضهم النبي فيما ليس هو فيه، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالرد على المشركين في عدم وحدانيتهم لله تعالى، وفي هذا تشريف وتكريم للنبي صلى الله عليه وسلم.

وأشار الإمام البقاعي إلى أن مبغض النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان ذا نسب وجاه فلن يغنياه من عذاب الله في شيء، وأن سورة الكافرون أرشدت للتعامل مع أهل الكفر والضلال، فقال: "لما أخبره في الكوثر أن العريق في شنآنه عدم، وجب أن يعرض عنه ويقبل بكليته على من أنعم عليه بذلك، فقال معلماً له ما يقول ويفعل".[2]

فلمّا قرن الله تعالى مبغض النبي صلى الله عليه وسلم بالأبتر مقطوع الخير، بيّن إشارةً في سورة الكافرون أن الالتزام بعبادته تتبع من محبة النبي صلى الله عليه وسلم.

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، 324/32.

[2] البقاعي، نظم الدرر، 301/22-302.

المبحث السادس عشر: سورة النصر ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة النصر هي السورة العاشرة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت في المصاحف وفي معظم التفاسير (سورة النصر)؛ لذكر نصر الله فيها، وفي بعض كلام السلف (سورة إذا جاء نصر الله والفتح)، وعن ابن مسعود أنها تسمى (سورة التوديع)، وهي مدنية بالاتفاق، وعن ابن عباس أنها آخر سورة نزلت من القرآن فتكون على قوله السورة المئة وأربع عشرة نزلت بعد سورة براءة ولم تنزل بعدها سورة أخرى، وعدد آياتها ثلاث وهي مساوية لسورة الكوثر في عدد الآيات إلا أنها أطول من سورة الكوثر عدة كلمات، وأقصر من سورة العصر.[1]

مقصدها: "بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر وختام الرسالة، وما يشرع عند تمام الأعمال الصالحة"[2]، قال الإمام البقاعي: "ومقصدها: الإعلام بتمام الدين، اللازم عن مدلول اسمها، اللازم عنه موت النبي صلى الله عليه وسلم، اللازم عنه العلم بأنه ما يرد إلى عالم الكون والفساد، إلا لإعلاء كلمة الله، وإدحاض كلمة الشيطان، اللازم منه: أنه صلى الله عليه وسلم خلاصة الوجود، وأعظم عبد للولي الودود".[3]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين النصر والكافرون

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "آذن النبي –صلوات الله وسلامه عليه– المشركين في سورة الكافرون التي سبقت هذه السورة– آذانهم بكلمة الفصل بينه وبينهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [الكافرون:6] ووراء هذه الكلمة الحاسمة القاطعة، التي أخذ بها النبي طريقه إلى ربه ومعبوده، واتخذ بها المشركون طريقهم إلى

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/587–589.

[2] فايز السريح، معالم السور، ص:543.

[3] البقاعي، مصاعد النظر، 3/268–269.

آلهتهم ومعبوداتهم– وراء هذه الكلمة تشخص الأبصار إلى مسيرة كل من النبي والمشركين الذين أخذوا طريقاً غير طريقه، لترى ماذا ينتهي إليه الطريق بكل منهما، وتختفي عن الأبصار طريق أهل الشرك، وتبتلعهم رمال العواصف الهابة عليهم من صحراء ضلالهم.. أما الطريق الذي أخذه النبي صلوات الله وسلامه عليه، فها هو ذا النصر العظيم يلقاه عليه، وها هو ذا الفتح المبين ترفرف أعلامه بين يديه، وها هو ذا دين الله الذي يدعو إليه، قد فتحت أبوابه، ودخل الناس فيه أفواجا".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

أتت سورة النصر بشارة للمؤمنين ونذارة للكافرين، ولعل المفسرين متفقون على أن مناسبتها لما قبلها منعقد في بيان النصر لهذا الدين بعد التمكين، وإعلان التوحيد في سورة الكافرون، فكانت سورة الكافرون مفرّقة لدين أهل الإيمان ودين أهل الكفر ثم جاءت سورة النصر مشيرة إلى انتشار دين الرسول عليه الصلاة والسلام ودين أهل الإيمان، وأن دين الله تعالى والفتح المبين آت.

وهذا ما أقره الخطيب في بيانه للمناسبة بين السورتين، وغيره أيضاً من المفسرين، كالإمام الرازي الذي أشار إلى سورة الكافرون أتت تبين حقيقة التوحيد، وسورة النصر أتت تبين نصر الله للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: هناك وجوه كلية متعلقة بهذه السورة، إحداها: أنه تعالى لما وعد محمداً بالتربية العظيمة في سورة الضحى والكوثر، لا جرم كان يزداد كل يوم أمره، كأنه تعالى قال: يا محمد لم يضيق قلبك؟ ألست حين لم تكن مبعوثًا لم أضيعك بل نصرتك بالطير الأبابيل؟ ثم الآن أزيد فأقول: إنّي أكون ناصرا لك بذاتي ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ ۝١﴾ [النصر:1]،... ومن الوجوه أيضًا: أنه عليه السلام لما تبرأ عن الكفر وواجههم بالسوء في قوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:1]، كأنَّه خاف بعض القوم، فقلل من تلك

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 16/1698–1699.

الخشونة فقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:6]، فقيل: يا محمد لا تخف؛ فإني لا أذهب بك إلى النصر، بل أجيء بالنصر إليك.[1]

وتكلم الإمام أبو حيان عن موضع النصر والتمكين لهذا الدين، فقال الإمام أبو حيان: لما كان في قوله: لكم دينكم، في سورة الكافرون، جاء في هذه –أي النصر– بما يدل على تخويفهم وتهديدهم، وأنه آن مجيء نصر الله، وفتح مكة، واضمحلال ملة الأصنام، وإظهار دين الله تعالى.[2]

وقد أشار الإمام السيوطي في وجه المناسبة بسلام الدين من شوائب الكفر وملته، وبيّن الله تعالى في سورة النصر تمام الأمر واكتمال الظفر، فقال السيوطي: "وجه اتصالها بما قبلها: أنه لما قال في آخر ما قبلها: ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ فكان فيه إشعار بأنه خلص له دينه، وسلم من شوائب الكدر والمخالفين، فعقَّب ببيان وقت ذلك، وهو مجيء الفتح والنصر، فإن الناس حين دخلوا في دين الله أفواجًا، فقد تم الأمر وذهب الكفر، وخلص دين الإسلام ممن كان يناوئه؛ ولذلك كانت السورة إشارة إلى وفاته صلى الله عليه وسلم".[3]

وبيّن الإمام الألوسي والشيخ المراغي وجه المناسبة بأن دين الكفار الى اضمحلال وزوال ودين الله تعالى هو الغالب، فقال الألوسي: "وفيها إشارة إلى اضمحلال ملة الأصنام وظهور دين الله عز وجل على أتم وجه وهو وجه مناسبتها لما قبلها".[4]

وقال المراغي: "ومناسبتها لما قبلها –أنه لما ذكر في السورة السابقة اختلاف دين الرسول الذي يدعو إليه، ودين الكفار الذي يعكفون عليه– أشار في هذه السورة إلى أن دينهم سيضمحل ويزول، وأن الدين الذي يدعو إليه سيغلب عليه، ويكون هو دين السواد الأعظم من سكان المعمورة".[5]

---

[1] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 334/32.

[2] انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 562/10.

[3] السيوطي، تناسق الدرر، ص: 169.

[4] الألوسي، روح المعاني، 491/15.

[5] المراغي، تفسير المراغي، 257/30.

وأتى الشيخ سعيد حوى بوجه جميل لاتصال سورة الكوثر بالكافرين، ثم اتصالهما بالنصر في تسلسل بليغ، فقال: "وأما صلة سورة النصر بما قبلها، من حيث إن سورة الكافرون تتحدث عن المفاصلة بين المسلمين والكافرين، ومن قبل ذكرت سورة الكوثر ما يفيد أن هناك مبغضين وشانئين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل ذلك يشعر بالصراع بين جهتين: أهل الإيمان، وأهل الكفر. وتأتي سورة النصر ليفهم منها أن العاقبة حتما لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن نصر الله آت، وأن الفتح آت، وأن الدخول في دين الله أفواجا آت لا محالة؛ ولذلك فإن السورة تأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ينبغي أن يفعله وقتذاك. فالسورة واضحة الصلات بما قبلها".[1]

إن سورة الكافرون أتت مبرِئة من الكفر، وأتت سورة النصر بعدها معلنة ومهددة أهل الكفر أن هذا الدين ظاهر.

[1] سعيد حوى، الأساس في التفسير، 6728/11.

المبحث السابع عشر: سورة المسد ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة المسد هي السورة الحادية عشرة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت هذه السورة بسورة المسد وسورة تبت، وسماها جمع من المفسرين (سورة أبي لهب) وعنونها أبو حيان في تفسيره (سورة اللهب)، وهي مكية بالاتفاق، وعدت السادسة من السور نزولاً، نزلت بعد سورة الفاتحة وقبل سورة التكوير، وعدد آياتها خمس، وروي أن نزولها كان في السنة الرابعة من البعثة.[1]

مقصدها: إيلام مبغضي الحبيب صلى الله عليه وسلم، وبيان عاقبتهم، والتحذير من اتباع طريقهم، قال الإمام البقاعي: "ومقصودها: البت، والقطع الحتم بخسران الكافر، ولو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين، اللازم عنه: أن شارع الدين له من العظمة ما يقصر عنه الوصف، فهو يفعل ما يشاء، لأنه لا كقوله أصلا، حثاً على التوحيد من سائر العبيد، وكذلك وقعت بين سورتي الإخلاص، المقرن بضمان النصر، وكثرة الأنصار، واسمها "تبت" واضح الدلالة على ذلك، بتأمل السورة على هذه الصورة".[2]

وقال الإمام ابن عاشور: "أغراضها زجر أبي لهب على قوله: «تباً لك ألهذا جمعتنا؟ ووعيده على ذلك، ووعيد امرأته على انتصارها لزوجها، وبغضها النبيء صلى الله عليه وسلم".[3]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين المسد والنصر

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "كانت سورة النصر –كما قلنا– مدداً من أمداد السماء، تحمل بين يديها هذه البشريات المسعدة للنبي وللمؤمنين، وتريهم رأي العين عزة الإسلام، وغلبته، وتخلع عليهم حلل النصر، وتعقد على

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 599/30.
[2] البقاعي، مصاعد النظر، 276/3–277.
[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 600/30.

جبينهم إكليل الفوز والظفر، وتحت سنابل خيل الإسلام المعقود بنواصيها النصر، والتي هي على وعد من الله به– حطام هذا الطاغية العنيد الذي يمثل ضلال المشركين كلهم، ويجمع في كيانه وحده، سفههم، وعنادهم، وما كادوا به للنبي والمؤمنين، إنه أبو لهب وامرأته حمالة الحطب".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

عند استقرائي لأقوال المفسرين وجدت أن وجه المناسبة لديهم بين المسد وما قبلها تدور حول بيان جزاء الطائعين وجزاء الكافرين المبغضين للنبي صلى الله عليه وسلم، فلما ذكر الله تعالى حال أهل الإيمان ودخولهم في دين الله في سورة النصر، جاء بعدها وبيّن أن أعداء هذا الدين في ضلال وخسران، وهذا المعنى أورده الخطيب في المناسبة وأضاف عليه أنه بعد علو دين الله والظفر له سيأتي هلاك عدو من أعداء الله وهو أبو لهب كنتيجة لهيمنة الإسلام وعزته.

ونرى أيضاً إشارة الإمام الرازي لهذا الوجه في التناسب بينهما بقوله: "كأنه قيل: إلهنا ما ثواب المطيع، وما عقاب العاصي؟ فقال: ثواب المطيع حصول النصر والفتح والاستيلاء في الدنيا، والثواب الجزيل في العقبى، كما دل عليه سورة النصر، وأما عقاب العاصي فهو الخسار في الدنيا والعقاب العظيم في العقبى، كما دلت عليه سورة المسد".[2]

فسورة النصر أوضحت ثواب الطائعين، وسورة المسد بيّنت عقاب العصاة المستكبرين، وإلى هذا المعنى أشار الإمام أبو حيان والنيسابوري.

فقال أبو حيان: "لما ذكر فيما قبلها دخول الناس في دين الله تعالى، أتبع بذكر من لم يدخل في الدين، وخسر ولم يدخل فيما دخل فيه أهل مكة من الإيمان".[3]

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1702/16-1703.
[2] الرازي، مفاتيح الغيب، 348/32.
[3] أبو حيان، البحر المحيط، 565/10.

وقال النيسابوري: "لما أخبر عن فتح الولي وهو النبي صلى الله عليه وسلم نبه على مآل حال العدو في الدارين".[1]

وأوضح الإمام الألوسي أن وجه المناسبة منعقد في إسعاد فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وأن الخسران كل الخسران في عدم اتباعه، فقال: "ولما ذكر سبحانه فيما قبل دخول الناس في ملة الإسلام عقبه سبحانه بذكر هلاك بعض ممن لم يدخل فيها وخسرانه".[2]

وانفرد الشيخ سعيد حوى بمناسبة لطيفة بين السورتين، فقال: "ختمت سورة الكافرون بقوله تعالى لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ وجاءت سورة النصر تبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر على الكافرين، وتأتي سورة المسد لتتحدث عن مآل الكافرين وخسرانهم من خلال الحديث عن شخصية آذت رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وزوجها الإيذاء الكثير، وحرصت على ردّ وصدّ الناس عن الإسلام، فهي داخلة دخولاً أولياً في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون:1-2].. ومن ثم فللسورة صلتها الوثيقة بما قبلها، فليس أعداء الله مغلوبين فقط، بل من حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها واستمر على ذلك فإنه كذلك معذب عند الله عز وجل يوم القيامة وفي الآخرة، وهو نصر ثان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي سورة النصر تسجيل للنصر الدنيوي على الكافرين، وفي سورة المسد تسجيل للنصر الأخروي على الكافرين".[3]

فاعتبر سورة النصر تسجيلاً للنصر في الدنيا على الكافرين، وسورة المسد تسجيلاً للنصر عليهم في الآخرة.

ومن المناسبات الجيدة التي وردت في أقوال المفسرين، ما ذكره الشيخ الغماري من أن المناسبة هي البشارة للنبي في السورتين، فقال: "لما بشَّر اللّٰه نبيه في السورة السابقة بنصره ونشر دينه، ناسب أن يبشره هنا

[1] النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 588/6.
[2] الألوسي، روح المعاني، 496/15.
[3] سعيد حوى، الأساس في التفسير، 6738/11.

بهلاك عدوين عنيدين من أشد أعدائه: طالما قاسى من إيذائهما وسبهما، ولهذا أفرد اللّه هذه السورة للبشارة بهلاكهما وخسرانهما، إكرامًا لنبيه، وانتقامًا له من أعدائه، والله تعالى أعلم".[1]

ففي سورة النصر بشّره بالنصر والفتح لهذا الدين، وفي سورة المسد بشّره بإهلاك أعدائه.

وقال الشيخ الزحيلي أن هناك تقابل بين هذه السورة والتي قبلها، فقال: "هناك تقابل بين هذه السورة والسورة التي قبلها، ففي السورة السابقة النصر ذكر الله تعالى أن جزاء المطيع حصول النصر والفتح في الدنيا، والثواب الجزيل في الآخرة، وفي هذه السورة ذكر أن عاقبة العاصي الخسار في الدنيا والعقاب في الآخرة أو العقبى".[2]

فكانت سورة النصر متحدثة عن دخول الناس في دين الله تعالى، وجاءت سورة المسد مُبينة حال من تخلف عن هذا الدين ومآل وعاقبة المستكبرين الجاحدين.

[1] الغماري، جواهر البيان، ص: 158.

[2] الزحيلي، التفسير المنير، 453/30.

المبحث الثامن عشر: سورة الإخلاص ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة الإخلاص هي السورة الثانية عشرة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، المشهور في تسميتها في عهد النبيء صلى الله عليه وسلم وفيما جرى من لفظه وفي أكثر ما روي عن الصحابة تسميتها (سورة قل هو الله أحد)، وسميت في أكثر المصاحف وفي معظم التفاسير (سورة الإخلاص)، واشتهر هذا الاسم؛ لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى، أي: سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الإلهية، وهي مكية في قول الجمهور، وقال قتادة والضحاك والسدي وأبو العالية والقرظي: هي مدنية، ونسب كلا القولين إلى ابن عباس، ومنشأ هذا الخلاف الاختلاف في سبب نزولها، وعلى القول بأنها مكية عدت السورة الثانية والعشرين في عداد نزول السور نزلت بعد سورة الناس وقبل سورة النجم، وآياتها عند أهل العدد بالمدينة والكوفة والبصرة أربع، وعند أهل مكة والشام خمس باعتبار لم يلد آية ولم يولد آية.[1]

مقصدها: إثبات صفات الكمال للواحد الديّان، وإخلاص العبادة له وحده، قال الإمام ابن عاشور: "أغراضها إثبات وحدانية الله تعالى، وأنه لا يقصد في الحوائج غيره وتنزيهه عن سمات المحدثات، وإبطال أن يكون له ابن وإبطال أن يكون المولود إلها مثل عيسى عليه السلام، والأحاديث في فضائلها كثيرة"[2] وقد صح أنها تعدل ثلث القرآن.[3]

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 609/30-612.

[2] المرجع السابق، 612/30.

[3] البخاري، صحيح البخاري، 1915/4، (رقم الحديث: 4726).

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الإخلاص والمسد

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في مناسبتها لما قبلها: "كانت عداوة أبى لهب وزوجه للنبي، ممثلة في عداوتهما لدعوة التوحيد التي كانت عنوان رسالة النبي، صلوات الله وسلامه عليه، وكلمته الأولى إلى قومه.. وقد ساقت هذه الكلمة أبا لهب وزوجه، ومن تبعهما في جحود هذه الكلمة، والتنكر لها– ساقتهم إلى هذا البلاء الذي لقياه في الدنيا، وإلى هذا العذاب الأليم في جهنم المرصودة لهما في الآخرة، وسورة الإخلاص وما تحمل من إقرار بإخلاص وحدانية الله من كل شرك هي مركب النجاة لمن أراد أن ينجو بنفسه من هذا البلاء، وأن يخرج من تلك السفينة الغارقة التي ركبها أبو لهب وزوجه، ومن اتخذ سبيله معهما من مشركي قريش ومشركاتها.. وها هو النبي الكريم، يؤذن في القوم، بسورة الإخلاص، ومركب الخلاص".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

اتفق معظم المفسرون على أن وجه المناسبة بين سورة الإخلاص وما قبلها هو تبيين عظمة الله تعالى وتنزيهه وإثبات الندامة لأهل الكفر والشرك كأبي لهب ومن سار على طريقه، وأضاف الخطيب أن كلمة التوحيد التي جحدها أبو لهب وزوجته هي طريق البلاء والعذاب الأليم وكلمة التوحيد نفسها وما تحمل من إقرار بوحدانية الله هي طريق النجاة ومركب الخلاص في الدنيا والآخرة.

وربط الإمام الغرناطي وجه المناسبة إلى أن سورة الإخلاص مركزية في إثبات وجود الله تعالى قبل خلق الكائنات، والتمس المناسبة من خلال تذكير فريق أهل الإيمان في سورة النصر، وفريق أهل الضلال في سورة المسد، بالواحد الأحد الصمد في سورة الإخلاص".[2]

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 16/1710–1711.

[2] انظر: الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص:384.

وبيّن الإمام أبو حيان أن سورة الإخلاص ردت على أهل الضلال غيّهم في سورة المسد وعداوتهم وبغضهم لله تعالى ولنبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: "ولما تقدم فيما قبلها عداوة أقرب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو عمه أبو لهب، وما كان يقاسي من عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد، رادة على عباد الأوثان والقائلين بالثنوية وبالتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد".[1]

واستلهم الإمام البقاعي وجه المناسبة من بيان سورة الإخلاص لعظمة الجليل سبحانه وتعالى كشف ادعاء الكافرون، فقال: "فلما بين سبحان بذلك إهلاكه عدوه صلى الله عليه وسلم، وختم بأعدى أعدائه فحكم بهلاكه، وهلاك زوجه هلاكا لا جبر له، جاءت الإخلاص كاشفة لما ثبت من العظمة لولي النبي صلى الله عليه وسلم سبحانه وتعالى الذي أمره بهذا الدين وفعل له هذه الأمور العظيمة الموجبة لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، لئلا يستبعد عليه سبحانه وتعالى شيئاً من ذلك ولا غيره".[2]

وأضاف هذا المعنى أيضاً الشيخ الزحيلي، رابطاً سورة الإخلاص بسورة الكافرون، فقال: "المناسبة بينها وبين ما قبلها واضحة، فسورة الكافرين للتبرؤ من جميع أنواع الكفر والشرك، وهذه السورة لإثبات التوحيد لله تعالى، المتميز بصفات الكمال، المقصود على الدوام، المنزه عن الشريك والشبيه، ولذا قرن بينهما في القراءة في صلوات كثيرة، كركعتي الفجر والطواف، والضحى، وسنة المغرب، وصلاة المسافر".[3]

واختم بربط لغوي جميل للباحث الأبرش الذي يشير أن "من أوجه المناسبة بين السورتين من ناحية اللفظ حين خُتمت سورة المسد بحرف الدال الساكنة واختتمت أول آيةِ سورة الإخلاص بذات الحرف؛ ليشعر القارئ أنَّ هناك ترابطًا لا انفكاكًا في اللفظ والمعنى، إذ إنَّ معرفة اللّٰه تعالى وتوحيده لا يمكن أن يصح دون معرفة النبي ومحبته واتباعه، ولما كان أبو لهب وزوجته من المبغضين للنبي صلى الله عليه وسلم ولدينه، فكأن

[1] أبو حيان، البحر المحيط، 570/10.
[2] البقاعي، نظم الدرر، 346/22-347.
[3] الزحيلي، التفسير المنير، 461/30.

الرد وإثبات التوحيد لله تعالى كان مشابهًا سريعًا في النسق الصوتي؛ ليُعلِم العبادَ سبحانه وتعالى بدعوة التوحيد، وألا يسلكوا مسلك أهل الضلال والغشاوة. ولمّا ذكر اللّٰه تعالى عاقبة أهل الكفر والأذى، بيَّن سبحانه وتعالى أن طريق النجاة من هذا الهلاك هو الاعتقاد الجازم بأن لا معبود بحق سوى اللّٰه تعالى وحده، لا شريك له، وبالالتجاء إليه سبحانه".[1]

[1] الأبرش، التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها (رسالة ماجستير)، ص:218.

المبحث التاسع عشر: سورة الفلق ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة الفلق هي السورة الثالثة عشرة بعد المئة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، سميت في المصاحف ومعظم كتب التفسير سورة الفلق، وجاء في كلام بعض الصحابة تسميتها مع سورة الناس بالمعوذتين، واختلف فيها أمكية هي أم مدنية، فقال جابر بن زيد والحسن وعطاء وعكرمة مكية، وقال قتادة: هي مدنية، وعدت العشرين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة الفيل وقبل سورة الناس، وعدد آياتها خمس بالاتفاق.[1]

مقصدها: "الحث على الاعتصام بالله من الشرور"[2]، قال الإمام البقاعي: "ومقصودها: الاعتصام من شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر والباطن، واسمها ظاهر الدلالة على ذلك".[3]

"والغرض منها تعليم النبيء صلى الله عليه وسلم كلمات للتعوذ بالله من شر ما يتقى شره من المخلوقات الشريرة، والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشر، والأحوال التي يستر أفعال الشر من ورائها؛ لئلا يرمى فاعلوها بتبعاتها، فعلم الله نبيئه هذه المعوذة ليتعوذ بها، وقد ثبت أن النبيء صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهذه السورة وأختها، ويأمر أصحابه بالتعوذ بهما، فكان التعوذ بهما من سنة المسلمين".[4]

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الفلق والإخلاص

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب: "تقرر في سورة الإخلاص ما ينبغي أن يكون عليه مفهوم المخلوقين للخالق سبحانه وتعالى، من تفرده بالألوهية، وتنزيهه أن يكون والداً أو مولوداً، وعن أن تكون له نسبة إلى المخلوقات، إلا نسبة الدلالة على قدرته وحكمته وعلمه، وأنها جميعها مفتقرة إليه في وجودها، وفي بقائها، وأنه سبحانه لا مثيل

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 623/30-624.

[2] فايز السريح، معالم السور، ص:552.

[3] البقاعي، مصاعد النظر، 298/3.

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 625/30.

له، ولا شبيه، ولا كفء ولا ند هذا ما أمر الله سبحانه النبي أن يؤمن به أولا، ثم أن يؤذن به في الناس، ثم جاءت بعد هذا سورتا المعوذتين الفلق والناس تقرران هذه الحقيقة، وتؤكدانها في مجال التطبيق العملي لآثارها، وذلك بدعوة النبي والناس جميعا أن يعوذوا بربهم، وأن يستضلوا بحمى ربوبيته من كل ما يسوئهم، أو ما يتوقع أن يعرض له بسوء، فذلك هو الإيمان بالله سبحانه، والإقرار بسلطانه القائم على هذا الوجود، وأنه وحده الذي تتجه الوجوه كلها إليه في السراء والضراء.. فهو سبحانه القادر على كل شيء، وهو سبحانه الذي بيده مقاليد كل شيء.. أما المخلوقون فهم جميعا على سواء في الحاجة إلى الله، وفى الافتقار إليه، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

بعد استقرائي لأقوال المفسرين رأيت أنهم متفقين على أن وجه المناسبة بين سورة الفلق والإخلاص متصلٌ ببيان المقصد الرباني في سورة الإخلاص والاستعاذة به سبحانه من الشرور في سورة الفلق، وأنها وسورة الناس جاءتا تطبيقاً عملياً لسورة الإخلاص، وهذا ما ذكره الخطيب وفصّل فيه.

وقد أشار الإمام الرازي إلى وجه المناسبة بين السورتين من خلال الربط بين البيان الإلهي في سورة الإخلاص، وبيان مراتب الشر في سورة الفلق، فقال: "سمعت بعض العارفين فسّر هاتين السورتين على وجه عجيب فقال: إنه سبحانه لما شرح أمر الإلهية في سورة الإخلاص ذكر هذه السورة عقيبها في شرح مراتب مخلوقات الله فقال أولا: قل أعوذ برب الفلق؛ وذلك لأن ظلمات العدم غير متناهية، والحق سبحانه هو الذي فلق تلك الظلمات بنور التكوين والإيجاد والإبداع، فلهذا قال: قل أعوذ برب الفلق".[2]

وقد كرر الإمام أبو حيان المعنى الذي أورده الإمام الرازي بقوله: "ولما شرح أمر الإلهية في السورة قبلها، شرح ما يستعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم ومراتب مخلوقاته".[3]

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1716/16-1717.
[2] الرازي، مفاتيح الغيب، 367/32.
[3] أبو حيان، البحر المحيط، 575/10.

وأبان الإمام الغرناطي عن وجه المناسبة، حين أشار إلى أن المقصود الإلهي في إخباره عن ألطافه وعنايته بخلقه ورحمته بهم فإن ذلك يوجب عليهم الاستعاذة والاستجارة بالله تعالى من الشرور.[1]

وقد ألمح الإمام النيسابوري إلى هذا المراد أيضاً بقوله: "لما أمره بقراءة سورة الإخلاص تنزيها له عما لا يليق به في ذاته وصفاته وكان ذلك من أشرف الطاعات، أمره أن يستعيذ به من شر من يصده عن ذلك كالمشركين وكسائر شياطين الإنس والجن".[2]

وأشار الإمام البقاعي إلى أحد وجوه المناسبة بين سورتي الإخلاص والفلق، حيث إنه تعالى لما ذكر سورة الإخلاص وتوفرت الأسباب في الانقطاع إلى اللّٰه تعالى والعكوف إليه، أمر بالاستعاذة من جميع ما يثير السوء من المخلوقات، فقال: "لما افتتح سبحانه وتعالى هذا الذكر الحكيم بقوله اهدنا الصراط المستقيم، ختم بتقرير أمر التوحيد على وجه لا يتصور أن يكون أكمل منه وتقرير الإخلاص فيه، فتم بذلك الدين، وانتهى سير السالكين".[3]

وقد ربط الشيخ الغماري بين اسم الله: الصمد، وبين سورة الناس ربطاً جيدًا، فقال: "لمّا بيّن فيما سبق أنه الصمد، أي: المقصود إليه في كل أمر، أرشد هنا إلى الالتجاء إليه والاستعاذة به من شرور خلقه".[4] ومن خلال ما تقدم من أقوال المفسرين يتبين أنَّ اللّٰه تعالى لما نزَّه نفسه في سورة الإخلاص وصَّى نبيه وأمته بالاستعاذة به سبحانه وتعالى من كل الشرور المحيطة بالعباد.

[1] انظر: الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 385.
[2] النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، 598/6.
[3] البقاعي، نظم الدرر، 406/22-407.
[4] الغماري، جواهر البيان، ص:161.

المبحث العشرون: سورة الناس ومناسبتها لما قبلها

المطلب الأول: التعريف بالسورة ومقصدها

سورة الناس هي السورة الرابعة عشرة بعد المائة حسب ترتيب تعداد السور في المصحف، وهي مكية في قول الذين قالوا في سورة الفلق إنها مكية، ومدنية في قول الذين قالوا في سورة الفلق إنها مدنية. والصحيح أنهما نزلتا متعاقبتين، فالخلاف في إحداهما كالخلاف في الأخرى، وعلى الصحيح من أنها مكية فقد عدت الحادية والعشرين من السور، نزلت عقب سورة الفلق وقبل سورة الإخلاص، وعدد آياتها ست آيات.[1]

مقصدها: الاستعاذة بالله سبحاته من الشرور الداخلية الخفية في النفس البشرية، وقال الإمام البقاعي: "ومقصودها: الاعتصام بالإله الحق، من شر الخلق الباطن، واسمها دال على ذلك؛ لأن الإنسان مطبوع على الشر، وأكثر شره بالمكر والخداع وأحسن من هذا: أنها للاستعاذة من الشر الباطن، المأنوس به، المشروح إليه، فإن الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي، والناس: مشتق من الإنس، فإن أصله، أناس، وهو أيضا: اضطراب الباطن، المشير إليه الاشتقاق من النوس، فطابق حينئذ الاسم المسمى، ومقصود هذه السورة معادل لمقصود الفاتحة، الذي هو المراقبة فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثول، والله المسؤول، في تيسير السؤل، وتحقيق المأمول".[2]

"اشتملت هذه السورة، وهي ثاني المعوذتين على الاستعاذة بالله تعالى والالتجاء إلى رب الناس الملك الإله الحق من شر إبليس وجنوده الذين يغوون الناس بوسوستهم، وقد عرفنا أن هذه السورة وسورة الفلق والإخلاص تعوذ بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سحر اليهود".[3]

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 30/631-632.

[2] البقاعي، مصاعد النظر، 3/310.

[3] الزحيلي، التفسير المنير، 30/478.

المطلب الثاني: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين الناس والفلق

أولاً: قول عبد الكريم الخطيب في التناسب بين السورتين

يقول الخطيب في مناسبتها لما قبلها: "هي امتداد لسورة الفلق قبلها، ومتممة لما يستعاذ بالله منه، والمعوذتان أشبه بسورة واحدة، ولهذا فقد جمعهما اسم واحد: المعوذتان".[1]

ثانياً: مناقشة قول عبد الكريم الخطيب مقارنة مع أقوال المفسرين

يتفق المفسرون على أن وجه المناسبة بين سورة الناس مع ما قبلها، منعقد في ذكر التخصيص بعد العموم في سورة الناس، وتحدث الخطيب عن وجه المناسبة بينهما سابقاً حيث جمع مناسبة (المعوذتان) أي: الفلق والناس بمناسبة واحدة لما قبلها وهي سورة الإخلاص، وقال إنهما بمثابة التطبيق العملي لآثار سورة الإخلاص.

أشار الإمام الرازي إلى وجه المناسبة بين السورتين من خلال الاستعاذة بالله تعالى الرب الملك الإله جل جلاله، فقال: "واعلم أن لهذه السورة لطيفة أخرى: وهي أن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصفة واحدة وهي أنه رب الفلق، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات، وهي الغاسق والنفاثات والحاسد، وأما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاثة: وهي الرب والملك والإله، والمستعاذ منه آفة واحدة، وهي الوسوسة، والفرق بين الموضعين أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب، فالمطلوب في السورة الأولى سلامة النفس والبدن، والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلت: أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت، والله سبحانه وتعالى أعلم".[2]

وأعطى الإمام الغرناطي معنى لطيفًا في المناسبة بين سورتي الفلق والناس، حيث إن سورة الفلق تحدثت عن الاستعاذة من الشر فكان اللفظ عامًا، ثم أتى التخصيص في سورة الناس؛ لكي يكون المعنى أبلغ وأكمل

[1] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، 1745/16.
[2] الرازي، مفاتيح الغيب، 378/32.

لمقصود السورة، فقال: "وجه تأخيرها عن شقيقتها عموم الأولى وخصوص الثانية، ألا ترى عموم قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق:2] وإبهام (ما) وتنكير غاسق وحاسد، والعهد فيما استعيذ من شره في سورة الناس "وتعريفه ونعته، فبدأ بالعموم، ثم أتبع بالخصوص؛ ليكون أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه وأوفى بالمقصود".[1]

وألمح الإمام السيوطي إلى مناسبة صوتية بين سورة المسد والإخلاص والفلق، حين أراد توجيه تقدم سورة الفلق على سورة الناس، فأشار إلى تناسب المقاطع بين السور الثلاث، فقال موضحاً: "وقدمت الفلق على الناس –وإن كانت أقصر منها– لمناسبة مقطعها في الوزان لفواصل الإخلاص مع مقطع تبت".[2] وهذا وجه جيد. فلما ختم اللّٰه تعالى في سورة الفلق الاستعاذة به من شر السحرة والحسدة، أوضح لنا أن طريقهم مقطوع مسدود، وأرشدنا إلى الاستعاذة به تعالى والالتجاء إليه والاحتماء به سبحانه وتعالى من شرور الشيطان واعوانه.

كان هذا الفصل استكمال الدراسة التطبيقية لعلم المناسبات في بقية سور جزء عمّ، يركّز على الترابط بين السور في قضايا: الإيمان والكفر، الجزاء والحساب، السلوك الإنساني والأخلاقي، التوحيد والعبادة، فمثلاً جاءت العلاقة بين الشرح والتين: أنها انتقال من النعم المعنوية إلى بيان خلق الإنسان وتقويمه، القدر والبينة: من نزول القرآن إلى موقف الناس منه، الزلزلة والعاديات والقارعة: تسلسل في مشاهد القيامة والجزاء، الفيل وقريش: من حماية الله للبيت إلى دعوة قريش لعبادته، الإخلاص والفلق والناس: الانتقال من توحيد الله إلى الاستعاذة به، ويؤكد هذا الفصل: وحدة موضوعية واضحة في جزء عمّ، وأن ترتيب السور له دلالة مقصودة.

[1] الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 385–386.

[2] السيوطي، تناسق الدرر، ص:173.

وأهم مميزات منهج الخطيب: إبراز العلاقة بين خاتمة السورة وبداية التي تليها، وأنه أحيانًا ينفرد بذكر مناسبات لا يذكرها غيره، لكن نلاحظ التفاوت في مستوى الشرح بين التفصيل والإيجاز.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بك اللهم أستجير وأستعين، وأصلي وأسلم علىٰ سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

بفضل من اللّٰه وعون منه، أنهيت دراسة المناسبات بين السور القرآنية عند عبد الكريم الخطيب في تفسيره دراسة تحليلية في جزء عم، وبعد هذه الجولة الثرية القيمة في رحاب كتاب الله عزوجل وبين بطون كتب التفسير وعلوم القرآن والمناسبات، أعان ويسر إتمام هذه الدراسة التي انتهت بجملة من النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

- إن علم المناسبات والوقوف على مناسبة فواتح السور ومضامينها لخواتم ما قبلها، مهمة جداً في معرفة مراد الله تعالى في كتابه العظيم، كما أنها تمنح القارئ المتدبر معاني وآفاق لفهم أسرار الارتباط بين السور القرآنية.
- إن معرفة علم المناسبات وسيلة لمعرفة الحكمة من الآيات ومقاصدها، ووسيلة لإظهار الإعجاز والدقة الإلهية في النظم القرآني.
- إن عناية الخطيب بعلم المناسبات تظهر بشكل واضح من خلال ذكره لمناسبة السورة لما قبلها قبل بداية شروعه في تفسير السورة.
- اتفاق الخطيب مع بعض المفسرين في توجيههم لبعض المناسبات، واختلافه مع غيرهم، اختلاف تنوع لا تضاد.

- تفرد الخطيب في بيانه لوجه المناسبة عند بعض السور القرآنية كسورة العاديات مثلاً ومناسبتها لما قبلها.
- إن العلاقة التي تربط سور جزء عمّ من حيث خواتيمها وفواتحها في تفسير الخطيب، علاقة ترابطية تكاملية، فالسورة تلو السورة تجعل الجزء متناسق المعاني منتظم المباني.
- ذكر الخطيب المناسبات في جزء عم ببيان مناسبة مجمل السورة لمناسبة ما بعدها، أو بذكر المناسبة بين آخر آية في السورة وأول آية في السورة التي تليها.
- إن المواضع التي كان التناسب فيها عند الخطيب مقتصراً على الآية الأخيرة فقط مع بداية السورة التي تليها هي سبعة مواضع فقط، والباقي جاء في سياق مناسبة موضوع السورة للسورة التي تليها.
- تميز الخطيب في ذكر بعض المناسبات بسهولة وسلاسة وإيجاز، وعلى النقيض فإنه في ذكر مناسبات أخرى يكون أكثر اختصاراً وأقل ايضاحاً.

ثانياً: التوصيات:

- دراسة علم المناسبات عند عبد الكريم الخطيب في الأجزاء الأخرى من القرآن الكريم، وأثر ذلك في تفسيره.
- إجراء المزيد من الدراسات التطبيقية التحليلية في علم المناسبات عند مفسرين آخرين.
- توجيه معلمي المدارس للإشارة إلى المناسبات في القرآن الكريم، لتعميق أثر القرآن في نفوس الطلبة.
- عناية مراكز التحفيظ وحلقات القرآن بموضوع المناسبات، وإدراج علم المناسبات في حلقات التفسير، كي يكسب الحفظة مهارة الفهم والربط بين الآيات.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأبرش، محمد علي عبد المنعم، التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها (رسالة ماجستير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية –جامعة قطر، 2020م.

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي (ت 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، ط:3، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، 1419 هـ.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، ط:1، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، 1412هـ

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط:1، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، 1415 هـ.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه، ط:5، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، 1993م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت 885هـ)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ط:1، مكتبة المعارف – الرياض،1987 م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي–القاهرة، 1431هـ.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (ت 279 هـ)، سنن الترمذي، ط:2، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر،1975 م.

ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي (ت 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، ط:1، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، 1416هـ.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط:4، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، 1987 م.

حوى، سعيد بن محمد ديب(ت 1409 هـ)، الأساس في التفسير، ط:1، دار السلام–القاهرة، 1985م.

أبو حيّان، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت 745 هـ)، البحر المحيط، دار الفكر – بيروت، 2000م.

الخضيري، محمد بن عبد العزيز، علم المناسبات في القرآن، موقع الدكتور محمد بن عبد العزيز الخضيري (موقع الكتروني) تم النشر 2014م.

الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي – القاهرة، 1431هـ.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت 606هـ)، مفاتيح الغيب، ط:3، دار إحياء التراث العربي –بيروت، 1420هـ.

الرضوى، مرتضى، مع رجال الفكر في القاهرة، ط:4، الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت–لندن، 1998م.

رمضان، محمد خير يوسف، تتمة الأعلام للزركلي، ط:2، دار ابن حزم، بيروت–لبنان، 2002م.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت 1436هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط:1، دار الفكر (دمشق –سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت –لبنان)، 1991م.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، ط:1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية،1957 م.

الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد (ت 538 هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط:3، دار الريان للتراث بالقاهرة –دار الكتاب العربي ببيروت، 1987م.

السريح، فايز بن سياف، معالم السور، ط: 7، دار الحضارة للنشر والتوزيع بالرياض، 2022م.

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي(ت1386هـ)، في ظلال القرآن، ط:1، دار الشروق–مصر، 2003م.

السيوطي، جلال الدين (ت: 911 هـ)، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ومرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة للنشر والتوزيع بالقاهرة، 2002 م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911 هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974 م.

الشعراوي، محمد متولي (ت 1418هـ)، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.

الصابوني، محمد علي (ت1442هـ)، صفوة التفاسير، ط:1، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، 1997 م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي (1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ.

عباس، فضل حسن، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، ط:1، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 2016م.

ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر (ت543هـ)، سراج المريدين في سبيل الدين، ط:1، تحقيق: عبد الله التوراني، دار الحديث الكتانية –طنجة، 1439هـ.

عطا، عبد القادر أحمد (ت 1403 هـ)، تحقيق كتاب تناسق الدرر للسيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع بالقاهرة،2002 م.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط:1، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، 1422 هـ.

عمر، محمود حسن، مقال أهمية علم المناسبات في القرآن الكريم، موقع الألوكة الشرعية (موقع الكتروني)، تم النشر 2016م.

الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، أبو جعفر (ت 708هـ)، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، 1990 م.

الغماري، أبو الفضل عبد الله محمد الصديق (ت1413هـ)، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، مكتبة القاهرة.

ابن فارس، أحمد القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، د.ط، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م.

الفراهي، عبد الحميد(ت1349هـ)، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ط:1، الدائرة الحميدية–الهند، 2008م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري(ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط:2، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1964 م.

القطّان، مناع بن خليل (ت 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، ط:3، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 2000م.

المراغي، أحمد بن مصطفى (ت 1371هـ)، تفسير المراغي، ط:1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده– مصر، 1946 م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري(ت 711هـ)، لسان العرب، ط:3، دار صادر – بيروت، 1414 هـ.

نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ.د مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة–كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، 2010م.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت 850هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ط:1، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، 1416 هـ.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

THE OCCASIONS BETWEEN THE QUR'ANIC SURAHS IN ABDUL KARIM AL-KHATIB'S INTERPRETATION: AN ANALYTICAL AND CRITICAL STUDY IN THE AMMA SECTION

By
Sondos Amer Abu Salamh

Supervisor
Prof. Odeh Abdullah

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Master of Fundamentals of Religion (Isul Al-deen), Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus- Palestine.

2026

THE OCCASIONS BETWEEN THE QUR'ANIC SURAHS IN ABDUL KARIM AL-KHATIB'S INTERPRETATION: AN ANALYTICAL AND CRITICAL STUDY IN THE AMMA SECTION

By
Sondos Amer Abu Salamh
Supervisor
Prof. Odeh Abdullah

Abstract

This study aims to clarify the relationship between *fitrah* (innate human nature) and *Maqasid al-Shari'ah* (the objectives of Islamic law), and to explain its impact on guiding human behavior. It also seeks to demonstrate the manifestations of the objectives of fitrah in the areas of religiosity, ownership, and sexual relations. This is done in light of contemporary intellectual and social challenges, where some materialistic systems have adopted conceptions that exclude the dimension of faith and advocate interpreting the world without belief in a God who governs it. Additionally, some of these systems have abolished the principle of private property, while others have permitted it without regulations, leading to failures in their implementation. These intellectual and cultural shifts have also been accompanied by the emergence of various forms of deviation in the field of sexual relations, most notably homosexuality, which several countries have sought to legalize and include within the framework of human rights through a number of international agreements and treaties.

The study relies on both inductive and analytical methodologies by examining relevant Islamic texts and scholars' opinions, analyzing them to derive the objectives of Shari'ah related to fitrah, particularly in matters concerning religiosity, property ownership, and sexual relations. The study also reviews juristic opinions and their evidence regarding homosexuality, demonstrating their consensus on its prohibition and the severity of punishment for those who engage in it, due to its violation of fitrah and its opposition to the moral order of society. Furthermore, the study applied a set of preventative and remedial measures to this phenomenon in present-day reality, emphasizing the importance of a systematic approach when dealing with it in a way that preserves the identity of society and safeguards Maqasid al-Shari'ah.

The study concludes that the objective of fitrah is a fundamental principle of Maqasid al-Shari‘ah, and that Sharia is in accordance with fitrah, refining it, guiding its natural inclinations, and correcting its deviations. It also confirms the role of fitrah in protecting both individuals and society from contemporary intellectual trends that contradict innate human nature, through adherence to the rulings and regulations of Shari‘ah, thereby fulfilling individual and social well-being in alignment with the nature created by God.

Keywords: Objective, Fitrah, Human Behavior, Homosexuality.